وهي تشكل دليلاً اضافياً الى ما قلناه أن الضحية (هيلين ساوا) لم تقتل لأنها من عرق آخر أو ديانة مختلفة، فالواقع مغاير تماماً والذين يكتبون عن هذه القضية من وجهة نظر قومية عليهم التحول الى الضفة الأخرى، ضفة الدفاع عن حقوق المرأة داخل المجتمع الكوردستاني وهذا الدفاع بحكم حضاريته وواقعيته سيكتسب المزيد من التعاطف والتضامن، فالصحيح أن كل المكونات الإثنية والدينية في كوردستان العراق متساوية في الحقوق ولايمكن مقارنة حزمة الحقوق المتاحة في الإقليم بنظيرتها في ظل الحكومة المركزية، وهذا ما يراه كل مَن لم تكن على عينه غشاوة.

ولكن الصحيح ايضاً أن المرأة كإنسان سواء كانت كوردية ام غير كوردية هي التي ينبغي أن تحتشد الاقلام لصيانة إنسانيتها وتفعيل دورها داخل المجتمع، ولايكون ذلك الا بأن تبدأ التكوينات السياسية بمراجعة ادائها الفكري التغييري فيما يخص نصف سكان المجتمع وتدشين حملة تربوية تثقيفية وقانونية في هذا المضمار. اما المصلحة الكوردية- الآشورية المشتركة فهي متعانقة ومتلازمة كالتعانق الازلي للقرى والمرابع الآشورية والكوردية، وسيكون خارج منطق التاريخ أن يتحول الكورد- الضحية الى جلاد.

***

نظرة ثانية الى مؤتمر الايزديين

الحقوق في ظلال الواقع الكوردي-الإقليمي

الزمان ٧/٢/٢٠٠٠

الديانة الإيزيدية هي واحدة من أكثر العقائد الدينية في العالم تعرضاً للقمع والإذلال والتنكيل المادي والمعنوي على مدى قرون من الزمن. حيث لم تسنح لها فرصة لتتنفس الصعداء وتنعم بنسيم الحرية. وكان القمع المتواصل أحياناً كثيرة مضاعفاً ومركباً شارك فيه ليس أعداء الكورد والقضية الكوردية التقليديون فحسب، بل وانضم اليهم أحياناً فئات من بني الجلدة... الكورد المسلمون ذوو النظرة الدينية المتشنجة والضيقة الافق.

مما ساعد على ديمومة الرؤية الضيقة لهذه العقيدة هو عدم تدوينها وبقاء طقوسها وتعاليمها وتصوراتها الفكرية على هيئة قوالب شفهية يتناقلها "القوّالون" بشكل مثقل بالبدع والإضافات الغريبة والأفكار الخاطئة.

وبملاحظة أن الإيزيدية بحكم بنيتها وهيكليتها منطوية على ذاتها ولاتبوح باسرارها

بسرعة للغرباء وتمنع زواج الإيزيديين من اتباع الاديان الأخرى، لذا فإن رقعة اتساع هذه الديانة وعدد المنضوين تحت لوائها في كوردستان بقي محدوداً. وفي اطار الحرب العنصرية على مقومات وخصوصيات القومية الكوردية دأبت الحكومة العراقية على شن حملة مضللة ومشفعة بتخريجات نظرية تاريخية تفتقر الى الدلائل والحجج والمنطق لتأكيد مزاعم "عروبة" الإيزيديين، ولكن ابسط رد على هذه الادعاءات أن الكورد الإيزيديين أجمعوا دوماً انهم يمثلون الثقافة الكوردية لعهد ما قبل الإسلام وان ديانتهم ترجع في اصولها ونشأتها الى الزرادشتية، ثم انها ديانة جرى ويجري تناقل تراثها باللغة الكوردية، وهي عقيدة لاتوجد الا في كوردستان فليس ثمة اي إيزيدي عربي أو تركي مثلاً. وكان الزعيم الكوردي مسعود البارزاني واضحاً ومحقاً حين صرح ذات مرة: "إما انه لايوجد كورد واما أن الإيزيديين هم أكثر الكورد قدماً وعراقة وأصالة" لقد عجزت حملة الصهر تماماً عن إلغاء مفاصل التاريخ وإعادة تدوينه وفق نزعات شخصية ومصلحية.

كان لابد أن نسوق هذه التوطئة لأن المؤتمر الاول لإيزيديي الوطن والمهجر المنعقد في جامعة (هانوڤر) الألمانية جعل من مهامه البحث في القضايا العلمية وحقوق الإنسان والحقوق الثقافية والدينية للإيزيديين. وكان مؤتمرا تأسيسياً -أو هكذا كان يفترض- لتدشين مرحلة جديدة في تاريخ هذه الديانة لتتوخى تدوينها وإنقاذها من عبث التناقل الشفاهي وتنقيتها من الشوائب وإجراء اصلاحات جوهرية حضارية عليها لتنسجم مع فروض العصر.

هذه كانت المهمة المركزية لمؤتمر حضره اتباع الإيزيدية من كوردستان ومواقع الشتات وقد دعا اليه مركز الإيزيديين خارج الوطن بالتنسيق مع منظمة الشعوب المهددة بالزوال الألمانية ذات الإهتمامات الموسعة بالشؤون الكوردية، وقد اصدرت جملة من الكتب حول الكورد وقضيتهم القومية بينها كتاب مخصص للديانة الإيزيدية.

القيت في أيام المؤتمر بحوث مثل نشأة وتطوير المعتقد الإيزيدي، والاصول الفكرية الدينية المشتركة بين الإيزيدية والزرادشتية واهل حق، وقصة الخليقة والتكوين لدى الإيزيدية، ورؤية اولية حول تصنيف الادب الديني الإيزيدي، اما البروفيسور د. جليلي جليل فتعرض الى تحليل جديد للكتاب الأسود "مسحەفێ رەش" وهو الكتاب المقدس للإيزيديين.

الى جانب ذلك قدمت محاضرات حول وضع الإيزيديين في مناطق اللجوء وملف لجوئهم في ألمانيا وأوروبا. وكان يمكن للمؤتمر أن يشكل فعلاً بداية الطريق لتقديم جهد

أكاديمي -علمي- سياسي للإيزيديين والعقيدة الإيزيدية، لو انه التزم ببعض القواعد الاساسية التي تتحكم بأي مؤتمر وتمسك بالتوجهات الموضوعية التي تضمن نجاحه، لاسيما وانه الاول من نوعه وعلى نجاحه تتوقف طموحات الأخوة الإيزيديين، ولكنه تعثر في منتصف الطريق واثار أسئلة كثيرة دون أن يجيب عليها أو أن يترك للآخرين حرية الاجابة والنقاش والمساجلة العلمية لما شابته من نزعة مبالغ فيها لتضييق وقت المداخلات والمناقشات.

في الوقت الذي اعلن هذا المؤتمر الذي شارك فيه كاتب هذه السطور أن من مهامه البحث في حقوق الإنسان الإيزيدي وحقوقه المدنية والثقافية والدينية، فأنه منع الى حد التطرف ما سماه بـ"تسييس المؤتمر" وهذا امر ليس بالمستطاع تحقيقه لأن بعض مواضيع البحث ذات اصول سياسية وليست بالتأكيد ذات محتوى ميثولوجي وعلمي صرف، فالإيزيديون تعرضوا على مدى تأريخهم لكثير من القمع والتنكيل بفعل سياسي من قبل أعداء عموم الكورد وليس بمجرد صدفة أو لعنة منزلة من السماء، وهم اذ يتمتعون الآن بحريتهم الثقافية والدينية في كوردستان العراق فأن ذلك هو الآخر فعل سياسي وافراز للحرية التي وفرتها الحكومة الإقليمية الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني على أساس المصالحة والتسامح والنظرة المنفتحة لمكونات المجتمع الكوردستاني، فكيف يجيز المؤتمر لنفسه التعتيم على هذه الحقيقة بدعوى عدم اقحام السياسة في جدول الأعمال، ثم الا تعتبر هذه التعمية على واقع عملي موجود ومعاش بحد ذاتها امراً سياسياً غريب الاطوار، الم ينتقص هذا الامر من مصداقية المؤتمر الذي اراد تقديم خلاصة لماضي وحاضر الإيزيديين الى العالم والمعنيين بالشؤون الكوردية وتعريف اهل الديانات الأخرى بواقع الإيزيدية؟! رغم هذا التعتيم كانت المحامية الألمانية سوزانا شرودر منصفة حين اشارت في محاضرتها الى أن المنطقة الوحيدة التي لايواجه فيها الإيزيديون الإضطهاد هي كوردستان العراق. اما كريستين اليسين من بريطانيا فقد اكدت في بحثها الميداني أن الايزديين كورد اقحاح وليست ثمة مظاهر للإضطهاد والتمييز ضدهم في كوردستان العراق.

يذكر أن وفداً من كوردستان العراق مثل مركز "لالش" الإيزيدي حضر هذا المؤتمر، والمركز المذكور تأسس عام ١٩٩٣ في مدينة دهوك ويدير النشاط الثقافي والديني للإيزيديين في الإقليم، وكان في نيته تقديم استعراض شامل للوضع الحالي للطائفة، الا انه منع من ذلك بذريعة حجب الدعاية السياسية، لقد جرى في الإقليم الكوردي العراقي الاقرار التام بحقوق الايزديين الدينية وتقنينها، وتم الإعتراف الرسمي بالديانة

الإيزيدية ويتم تدريسها منذ ثلاثة اعوام للطلبة، وتم إلغاء كل مظاهر التمييز ضدهم في العمل والتوظيف فبرز منهم الآن الوزير والحاكم، إضافة الى كفاءات متنوعة تشغل مختلف مفاصل الإدارة، ودشنت الحكومة الإقليمية الثالثة والرابعة مؤخراً عهداً جديداً لا سابقة له في مجرى اقرار وتطبيق حقوق الإيزيديين. وتصدر في الإقليم لاول مرة في تاريخ العراق مجلة مختصة بشؤون الإيزيديين وثقافتهم هي مجلة "لالش".

وجرى انشاء مكتبة لجمع وحفظ التراث الإيزيدي والوثائق والمدونات والكتب الصادرة حول قضاياهم المختلفة، كما تم إعداد عدد كبير من الاشرطة المرئية والمسموعة لصيانة التراث الشفاهي ومنعه من الضياع وإعادة صياغته وحفظه للأجيال، وتستمر عملية تشجيع المؤلفين لوضع الكتب حول مختلف جوانب الديانة الإيزيدية، وتطوير المقررات الدراسية لاصول هذه الديانة.

انها اذن إنعطافة جذرية غير مسبوقة وكان على المؤتمر أن يستعرض هذا التطور الكبير ويشيد به وأن يعلن تضامنه واستعداده لتقديم جهود اضافية في هذا المضمار، ولكن القيّمين على إدارة المؤتمر دخلوا في قوقعة ضيقة حين تصوروا أن ذلك سيشكل دعاية لطرف سياسي معين، وما العيب في ذلك إنْ كان الامر حقيقياً ومطابقاً لواقع الامور؟! فما يجري في كوردستان العراق بخصوص الأخوة الإيزيديين يعني عهداً نوعياً جديداً كل الجدة عليهم، والمنجزات قائمة عملياً وتطبيقياً وميدانياً يشهد عليها كل زائر لكوردستان، لذا كان مركز الإيزيديين خارج الوطن مخطئاً حين اغلق الأبواب على نفسه ورفض وضع إيزيديي الداخل الذين يبقى رأيهم وواقعهم الراهن هو المفتاح المركزي لمعرفة حقيقة ودلالات الازدهار الثقافي-السياسي- الديني- الحقوقي الطارئ على وضع الإيزيديين في كوردستان العراق، وهذا يثبت مجدداً حقيقة ساطعة سطوع الشمس في وضح النهار، هي إن اي تطور في الحقوق القومية الكوردية هو المدخل الذي لا مدخل غيره لصيانة وتطوير وانعاش التراث الديني الإيزيدي ومنحه أسباب الديمومة والبقاء فوحدها السيادة الكوردية على الارض هي حاضنة هذا الامل.

لقد كان في جعبة مركز (لالش) القادم من اعماق كوردستان العراق، والشاهد على حزمة الحقوق التي يتمتع بها الإيزيديون، مشروع عملي وواقعي مؤلف من ٢٠ بنداً يتوخى تعميق وتوسيع حملة تدوين التراث الديني الإيزيدي، ومواصلة اعمار وترميم المواقع المقدسة للإيزيديين، واغناء المكتبة الإيزيدية بمزيد من البحوث والكتب والمدونات، وربط الخارج بالداخل والبحث عن آليات لتجذير المنجزات الخاصة بالإيزيديين في ظل الحكومة الكوردية الإقليمية، ومد الجسور لتعريف العالم بواقعهم المزدهر، الا أن بعض

المشاركين في إدارة المؤتمر شاء عمداً أن يلغي هذه المهمة الجوهرية وان يفرغ المؤتمر من بعض أساسيات اجندته المعلنة، وهذا ماجلعه في رأي العديد من المندوبين تظاهرة إعلامية انتكسنت في منتصف الطريق.

وهذا ما دعا رئيس مركز "لالش" للادلاء بكلمة احتجاج مؤثرة حازت على تفهم المندوبين مفادها أن الحقائق عن وضعنا في كوردستان العراق ينبغي أن تقال كما هي لا كما يريدها الآخرون واننا قادمون من وطننا كوردستان ونتمتع بالحقوق في ظل ادارتنا الكوردية الإقليمية ونحن احرار على ارضنا وندعوكم لزيارتنا والتماس المباشر مع مفردات الواقع عن كثب.

كان يمكن لأول مؤتمر عن الديانة الإيزيدية أن يدشن خطوة ذات مغزى على الطريق لمراكمة الجهد الموجه لرفع الغبن عن هذه العقيدة، ولكن المؤتمر بقي ناقصاً وقليل الصدقية لأن ادارته لم تتبع النهج الديموقراطي في التعامل مع الأطراف المشاركة ولم تفتح باب حرية التعبير على مصراعيه، بل انها حاولت وضع جدار وسد بين الإيزيديين في الداخل والخارج، وتناست أن الوطنية الكوردية وتراث الأخوة الكورد الإيزيديين صنوان لاينفصمان.

***

دوامات السلام وخطر تكريس القطيعة

الزمان ١٥/٢/٢٠٠٠

حين أعلن الملاذ الآمن لكورد العراق عام ١٩٩١ في أول اختراق للمبدأ العتيد في القانون الدولي العام المتجسد في السيادة المطلقة للدولة، وتم ميدانياً تدشين مرحلة التدخل الإنساني على أساس القرار ٦٨٨ القاضي بمنع النظام المركزي من البطش بالمدنيين، نقول حين تبلور هذا الإنعطاف لم يكن أحد باديء ذي بدء يتصور كل الابعاد القانونية والسياسية والإقتصادية لهذا التطور، التي تتجاوز البعد الإنساني للقرار الذي وجد تطبيقه العملي في الإقليم الكوردي العراقي الخارج عن دائرة السلطة المركزية واجهزته القمعية.

لكن الرياح جرت حينذاك كما تشتهي السفينة الكوردية وتحول الجيب الآمن من مجرد خيمة مؤقتة توفر الخبز والدفء للاجئين الهاربين من الجحيم الى واقع سياسي يحمل مواصفات سيادية توفرت لأول مرة في التاريخ للشعب الكوردي فانسحبت

الإدارة الحكومية المركزية السيئة الصيت وتاسست حكومة اقليمية وانبثق اول پرلمان كوردستاني حر ومنتخب قائم على الإرادة الشعبية الكوردية.

ولكن سرعان ماهبّت رياح الإقتتال الداخلي الذي كاد يعصف بكل شيء وخلف آثاراً تراكمية تدميرية ستعمر طويلاً في ذاكرة الإنسان الكوردي المتعود على الكوارث والمحن المتلاحقة، والإقتتال هذا اذ وجد مبرراته ومسوغاته الظاهرية على صفحات الصحف، إلاّ انه عجز عن اقناع المواطن الكوردي الذي وجد أن وطنيته تقوقعت في شرنقة المناطقية، وان نضاله التحرري انكمش ليصبح بحجم الحزب بل واضيق منه، وان عطاء أرضه الذي طالما استنزف في حرب الإبادة العنصرية ضده غير مجراه الى قناة الحرب الداخلية التي لم تقتل وتدمر الإنسان فحسب، بل ومعه اجمل مافيه من قيم وتراث الماضي النضالي ومقومات العمل المستقبلي.

ومنذ عام ١٩٩٣ عجزت كل الإتفاقيات السياسية والميدانية عن الصمود. والقسم بأغلظ الأيمان بالإلتزام ببنودها صار غطاء دبلوماسياً كريهاً لإنتهاز أقرب فرصة للتملص من الإلتزامات والعودة بالأوضاع الى بواكيرها لتكرّ السبحة مجدداً.

وربما كانت إتفاقية واشنطن المبرمة بين الحزبين الكورديين الكبيرين برعاية القطب العالمي المهيمن، الولايات التحدة الأمريكية، في أيلول (سپتمبر) عام ١٩٩٨ الأكثر ثباتاً على الأقل لأنها اطالت مدة اللاقتال ووفرت سقفاً زمنياً لازدهار جوانب الحياة الأخرى بعيداً عن العسكرة واستنزاف الموارد والطاقات والاحلام في الخنادق، فالإقتصاد اعتراه شيء من الإستقرار والنمو بفعل تطبيقات القرار ٩٨٦ وجهود الحكومة الإقليمية، والحياة الثقافية والتربوية اكتسبت ملامح الازدهار النسبي، وعلى الصعيد السياسي جاء تشكيل الحكومة الإقليمية الرابعة ببرنامجها التنموي الموسع والمتعدد الآفاق لتدشين مرحلة جديدة طابعها الطاغي هو المضي قدماً لتوطيد أركان الإقتصاد وتجذير سيادة القانون، وقبل ذلك كله هو الركن الأساسي وحجر الزاوية في بنيان التجربة الحالية في كوردستان العراق التي تحتاج لإعادة الثقة بها في المجتمع الدولي وتأهيلها لتصبح نموذجاً قابلاً للتطبيق في بؤر توتر أخرى في عالمنا الراهن.

والى ذلك فان مؤتمر نيويورك للمعارضة العراقية أواخر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المنصرم، وبغض النظر عن كل مواطن الضعف والانتقاد فيه، أوفى بإلتزاماته تجاه الجانب الكوردي واقر بمطلب الشعب الكوردي في العراق بالفيدرالية واعلن دعمه للتجربة الكوردية نموذجاً لعراق المستقبل وشجب سياسة النظام المركزي تجاه المناطق الكوردية الخاضعة لسيطرته، بل وذهب الى ابعد من ذلك حين اعلن تضامنه مع الإدارة

الكوردية في مواجهة الاعتداءات التي تستهدفها اياً كان مصدرها.

كان هذا عاملاً ايجابياً لتفعيل وتعجيل عملية السلام الكوردية ومنع بروز اشكالية اصطفاف الجسم السياسي الكوردي على كتل ضمن المعارضة العراقية متعارضة المواقف والاتجاهات بشأن الحل المستقبلي للقضية الكوردية في العراق.

اذن فالمواطن الكوردي العادي ومعه المتابع للشأن الكوردي تصور أن هذه المظاهر الواعدة، أي تطبيقات القرار ٩٨٦، والبرنامج الجديد والشامل للحكومة الإقليمية الرابعة، والموقف الواضح لمؤتمر المعارضة العراقية من التجربة الكوردية، وإستمرار انعقاد لجان التنسيق العليا بين الحزبين الكورديين، نقول تصور انها ستكون -وهي يجب أن تكون- مفاتيح قادرة على فك طلاسم الازمة الكوردية والانفتاح على مرحلة السلام الدائم أو على الأقل -ولكي لانكون مثاليين- قادرة على منع تردي الاوضاع الى حافة الهاوية.

لكن ذلك ضرب من التنجيم حين يلاحظ المرء الرسائل الساخنة الواردة هذه الأيام من الإقليم سواء عبر الصحافة أو عبر الاثير من خلال الفضائيات الكوردية، فواقع الحال ينبئ بتصدعات متواصلة في جدار السلام وفي جدار الإستقرار الأمني.

اما إجتماع لجنة التنسيق العليا قبل أيام فانه كالعادة لم يمس الجذر الأساسي للحل ولم يحقق تطابقاً في الرأي بصدد البنود العقدية الكبرى ولم يفرز سوى إنجازات تطبيعية صغيرة الحجم وقليلة الدلالة. مما يعني بحق أن إتفاقية واشنطن اصبحت في حكم الموؤدة أن لم يجر تدارك الامور لكي لاتتراكم التصدعات وتصبح انكساراً حقيقياً.

إن رياح المواقف والوقائع تسير على الضد من إرادة السلام والوئام، فمن جهته اعلن السيد جلال الطالباني نفسه وبشكل مفاجئ رئيساً لاقليم كوردستان العراق من دون أي مبرر أو مسوغ قانوني أو واقعي، وكانت تلك خطوة احادية الجانب اجهزت مسبقاً على القانون الذي ينص منذ عام ١٩٩٢ على إنتخاب المقام الأول في الإقليم، تبعتها خطوات أخرى افرغت إجتماعات لجنة التنسيق من جدواها واهالت التراب على طريق المضي في إنجاز إتفاقية واشنطن، حيث تم تشكيل محكمة تمييز ثانية في السليمانية وجرى تجزئة ما بقي من المنظمات المهنية وفق اللون السياسي.

وأخيراً جاءت خطوة إجراء الإنتخابات البلدية المقتصرة على منطقة نفوذ الإتحاد الوطني الكوردستاني لتكرس فعلياً تقسيم وتجزئة الإقليم الكوردي، وينوي الإتحاد الوطني إجراء إنتخابات برلمانية عامة في منطقته وفق ماتقول مصادره، مما يعني غلق

الأبواب تماماً أمام فرص إنجاز إتفاقية السلام الحالية وضرورة البحث عن اطار آخر وهو أمر نعتقد مخلصين اننا في غنى عنه.

ونرى انه فيما يخص تجزئة محكمة التمييز والإنتخابات البلدية، كان يمكن التروّي وعدم الانجرار الى هاتين الخطوتين، فمحكمة التمييز في العاصمة الإقليمية أربيل كانت تقوم بواجبها المناط بها وهو واجب مقدس لم يجر تسييسه يوما كمرجع اعلى لمصير المواطنين وبيده سلطة الحل والعقد قضائياً، فتقسيم هذا المرجع السامي الحاصل على اعلى درجات الصدقية في وجدان المواطن يخلق حالة مرعبة من الخوف وعدم الصدقية، ويجعل المراجع الحقوقية والقضائية الاجنبية. تترد في قبول حجية قرارات محاكم الأقليم، أما الإنتخابات البلدية، فلاشك انها ظاهرة حضارية ووتد أساسي لتفعيل وبلورة الديمقراطية عملياً وتسريبها، لذلك كان السيد مسعود البارزاني سباقاً حين اعلن في شهر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي عن تصميم الحزب الديمقراطي الكوردستاني والحكومة الإقليمية على اتخاذ كل التحضيرات اللازمة لإجراء إنتخابات بلدية في اجواء من الأمن والإستقرار وضمان إنجازها بشكل ديمقراطي سليم، واصبح هذا البند قراراً ملزماً بعد اقراره بالاجماع من قبل المؤتمر الثاني عشر للحزب الديمقراطي الكوردستاني المنعقد أوائل تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٩٩.

كانت هذه فرصة حقيقية لكي يعلن الإتحاد الوطني الكوردستاني تجاوبه معها للعمل معاً على إنجاز هذه المهمة ذات الأهمية القصوى في المجتمع الكوردستاني كواحدة من أكثر الخطوات التطبيعية عمقاً ومغزى وتأثيراً بين الحزبين، لكن ذلك لم يحدث وما حصل هو النقيض تماماً حيث تعمق التقسيم في منطقة مازالت رغم مرور تسع سنوات على خروجها من كنف النظام المركزي، حافلة بآثار التدمير والخراب الذي افرزته عقود من حرب الإبادة العنصرية، وحاملة للكثير من أسباب التفجير السياسي والأمني لانها مقتحمة من دول الجوار وهشة لجهة السلام الداخلي، ناهيك عن وضعها السياسي-القانوني الدولي الذي مازال ضبابياً وغير معترف به ككيان واحد فكيف به حين يصبح كيانين؟

وبعيداً عن جبهة الحزبين الكورديين التي لاتتراص الا لتثقب وتنفرط مجدداً، نلاحظ أن المياه العكرة الحالية تصبح يوماً اثر يوم أكثر صلاحية للإصطياد من قبل الايادي السوداء التي دشنت هذه الأيام ظاهرة غريبة على المجتمع الكوردي طفت بقوة على السطح على هيئة التفجيرات الحاصلة في أربيل فخلال أيام جرى الهجوم على محل تجميل وحلاقة النساء، وقتل شخص بأيدٍ مجهولة، وجرى إغتيال أمام جامع حلبجة، ثم

كان الاعتداء الغادر على الطالب الجامعي محمد عبيد مسؤول إتحاد طلبة كوردستان في كلية الزراعة بجامعة أربيل، حيث اطلق عليه النار وجرى جز رقبته في مشهد يشبه الطريقة الجزائرية، كما اعلنت صحيفة (الزمان) بحق في صدر صفحتها الاولى يوم ٢/٨/ ٢٠٠٠، هذه وحوادث الاعتداء على كتاب وصحفيين في السليمانية استدعت إجراءات أمنية مكثفة ولفتت انظار الجميع في الإقليم من سياسيين ومثقفين وأكاديميين الى هذا الخطر الجديد المتلبس زوراً وبهتانا بالعباءة الإسلامية، والخارج كما الجمر من تحت الرماد، فبدأت تتردد على الالسن لأول مرة تعابير مثل "الاصولية الإسلامية الكوردية" و"الافغان الكورد" وبعبع التكفير الذي يوجه سهامه الى كل ذي رأي مخالف، في خطوة بالغة الخطورة لاستيراد تجربة جز الرقاب وتقطيع الاجساد وترهيب النفوس وتحقير الرأي الآخر ووأد ثقافة الحوار والتعددية وهي لم تزل في بداياتها الغضة في كوردستان العراق.

اننا نرى في هذه الظاهرة الجديدة نذيراً وطرقاً لناقوس الخطر، والبديل الذي لايمكن ولايجوز استبداله بأي بديل آخر هو أن تنهض كل النخب السياسية في الإقليم من سكونها والإتفاق والتوافق على إنجاز السلام السياسي الكفيل بصيانة التجربة الحالية وتطويرها وتنميتها ومواصلة انعاش إقتصاد الإقليم، لانه بقدر ديمومة ازمة الكبار تزداد فرصة الفئات الهامشية والظلامية لتتسلل الى نسيج المجتمع، وزرع الأفكار الغريبة فيه، وتتفنن في تحويل حالة اللاسلم الحالي الى غطاء ايديولوجي لتحويل المنطقة والمجتمع الى جهنم فوق الارض، فهل سنسمع خلال الأيام القادمة آراءً وأفكاراً ونرى مواقف جدية وإنعطافية، في مجرى المياه الراكدة لإتفاقية السلام بين طرفي إتفاقية واشنطن للسلام في كوردستان العراق لدرء الخطر الادهى على الإقليم قبل فوات الاوان بإعتباره الرد الأكثر حسماً على موجة عمليات الإرهاب.

***

حقوق مشروعة في ميزان التحولات العالمية

الكُرد وكُردستان العراق بين كتابين وأكثر من حرب

الزمان ٢٠٠٠/٢/١٧

ضمن بؤر التوتر في العالم تبقى كوردستان، تلك الأرض المتصلة جغرافياً وقومياً والمجزأة سياسياً، ذات خصوصية في المعايشة المتواصلة لمسلسل الازمات والمحن

والمآسي الإنسانية والحروب، فلها اذن قصب السبق في الدخول في دهاليز الكوارث. والقضية الكوردية واحدة من اعقد القضايا القومية التي تعبر الى الالفية الثالثة حاملة جراحها التي لن تندمل سريعاً.

ألم يكن الباحث التركي (اسماعيل بيشكچي) الذي قضى سنيناً من عمره في السجون ثمناً للدفاع عن حرية الكورد منصفاً حين وصف كوردستان بآخر المستعمرات في العالم، رغم أن كلمة "مستعمرة" لاتعجب الكثير من السياسيين والكتاب والباحثين الأكاديميين في الدول التي تقتسم هذه الأرض لأنهم ينتمون الى دول حاربت بدورها الاستعمار التقليدي الانجلو-فرنسي لنيل السيادة والإستقلال واقامة الحكم الوطني. ولكن المفارقة في تاريخ الكورد. ان هذه الدول سرعان ما تنكرت، كل بطريقتها الخاصة، للطموح الكوردي المشروع. لذا كان المؤلف محمد احسان محقاً في اطلاق عنوان "كوردستان ودوامة الحرب" على كتابه الصادر هذا العام في ٣١٩ صفحة موزعة على ثمانية فصول وثمانية ملاحق، فالحرب هي اول فصول التاريخ الكوردي، وضياع الفرص لعوامل ذاتية وموضوعية هي الصفة الغالبة على مراحل تطور القضية الكوردية، منذ معركة (چالديران) عام ١٥١٤ حيث تقاسمت الامبراطوريتان العثمانية والصفوية الامارات الكوردية المتناثرة والمتخاصمة -كالعادة- مع بعضها البعض وفقاً للتبعية المذهبية، ومروراً بإتفاقية (لوزان) التي اجهضت والى الابد على إتفاقية (سيڤر) عام ١٩٢٠ ذات المغزى العميق في مسيرة الحركة التحررية الكوردية، لكونها أول إتفاقية دولية انتصرت بنصوص واضحة للحقوق الكوردية.

ويصف المؤلف مرحلة (سيڤر - لوزان) بـ"الحدث المأساوي في تاريخ النضال التحرري الكوردي في سبيل التحرر والإستقلال فالوعود المتكررة التي ظلت حبراً على ورق افضت بالكورد الى الاعتقاد بانهم، وكما كانوا مراراً خلال تلك الفترة، مجرد آلة مسخرة بيد القوى العظمى... مما زاد المأساة عمقاً وحجماً وفتح الجرح الكوردي فاغراً أمام كل الإحتمالات". والواقع أن هذه الإحتمالات كانت غالباً وكما شهدت الحقب التالية مأساوية العاقبة ودموية الطبيعة، فجمهورية مهاباد عام ١٩٤٦ لم تعمر سوى اقل من عام اثر انسحاب الجيش السوڤياتي وجرى إعدام قادتها ورئيسها القاضي محمد في ساحة (چوار چرا- المشاعل الأربعة) في مدينة مهاباد التي مازالت شاهدة على هول الحدث ومرارة الذكرى، ويسجل (وليم ايگلتن) في كتابه عن هذه الجمهورية-الحلم تفاصيل دقيقة عن المقاومة الكوردية التي نهض بها الزعيم الكوردي الراحل مصطفى البارزاني وسط صمت القوى العظمى آنذاك.

أما ثورة أيلول (سبتمبر) الكبرى فقد ذهبت ضحية مؤامرة دولية صارخة كان للولايات المتحدة الأمريكية الدور الحاسم فيها، واذ نقف اليوم شهود عيان على التجربة الحالية لكورد العراق نجد كم انها هي الأخرى معرضة للعواصف فيما اذا لم يستخلص الكورد العبرة والدرس من الماضي لتوظيف هذه الفرصة واستثمارها من خلال التشبث بمقومات الثوابت الكوردية التي تتجاوز حدود الحزب الى تخوم القضية والوطن.

ولعل ابلغ مقطع في خطاب الزعيم الكوردي مسعود البارزاني من على منبر المؤتمر الثاني عشر للحزب الديمقراطي الكوردي أوائل شهر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي تمثل في مامفاده اننا في عصر الشعوب المضطهدة وينبغي أن نكف عن اضاعة الفرص.

خصص المؤلف الفصل الثاني من الكتاب لكيفية إدارة البعث العراقي للقضية الكوردية ليس بالحديد والنار فحسب، بل وبمحاولة استئصال جذور شعب باكمله بحرب إبادة عنصرية توجت بالسموم الكيمياوية. ويورد المؤلف الإعتراف الصريح لطارق عزيز بإستخدام هذا السلاح حين قال في ربيع عام ١٩٩٠ "اجل استخدمناها بالضبط ضد أولئك الجهلة والمتخلفين، وكيف لا، ولو كان لدينا اسلحة نووية لاستخدمناها ايضاً".

وافرد الكاتب فصلاً مثيراً للقرار ٦٨٨ الشهير الصادر في ٥ نيسان (ابريل) عام ١٩٩١ ويلجأ لاستعارة الأوصاف نفسها التي اطلقها عليه الباحث العراقي عبدالحسين شعبان حين سماه القرار اليتيم والتائه والمنسي بإعتباره القرار الوحيد الذي انتصر للشعب العراقي، ولكنه لم يصدر ضمن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة المتعلق بالعقوبات الملزمة فأصبح القرار بحجيته القانونية والملزمة أدنى من القرارات الأخرى.

اننا نعتقد أن القرار الآنف الذكر سيبقى إنعطافاً تاريخياً في مجرى زيادة دور الفرد وحقوق الإنسان في القانون الدولي العام، وتخفيف حدة واطلاقية مبدأ "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول" الشهير الذي تطرف في تقديس سيادة الدولة مما كان يجعله في غالب الأحيان يصطدم بالمبدأ المحوري في القانون الدولي المعاصر القائم على حق الشعوب في تقرير مصيرها، والحالة الكوردية مثال صارخ على ذلك. فمن المستحيل ترجمة هذا المبدأ الى واقع في وقت ينظر للقضايا القومية كونها شأناً داخلياً بحتاً، ولعل إتفاقية ٦ آذار (مارس) عام ١٩٧٥ بين العراق وإيران التي اجهزت على اكبر ثورات الشعب الكوردي واطولها مدة على مرأى ومسمع من العالم، يفسر لنا بالمقابل أهمية القرار ٦٨٨ في التأسيس لحالة نقيضة وايجابية حين اعتبر القمع والتنكيل بالمواطنين الكورد وبقية العراقيين تهديداً للسلم والأمن الدوليين، ثم انه القرار الوحيد الذي اتى على ذكر القضية الكوردية بوضوح وصراحة وتلك هي المرة الاولى كما يقول

دايفيد ماكدويل في كتابه "الكورد" الصادر عام ١٩٩٦ منذ قيام عصبة الأمم بالفصل في النزاع على ولاية الموصل (١٩٢٤-١٩٢٥) يأتي الكورد بالاسم.

وكانت محاولة قد جرت عام ١٩٦٣ بعد إشتداد وتيرة القمع الشوفيني إبان إنقلاب شباط (فبراير) في العراق، لبحث الوضع الكوردي في المنظمة الدولية بمبادرة من وفد منغوليا الشعبية الا أن المشروع اجهض قبل أن يرى النور تفادياً لاثارة الدول العربية، ويستعرض الكاتب الأبعاد السياسية والقانونية والإنسانية لهذا القرار المهم الذي مازال يفتقر الى آليات ميدانية محددة لإخراجه الى حيز التطبيق في وسط وجنوب العراق، بإعتباره التجسيد النظري لمفهوم وفكرة الحقوق الإنسانية والتدخل الإنساني وتدويل حقوق الإنسان. واذا كان ثمة من يخشى الانتقائية في تطبيقه أو اساءة إستخدامه أو توظيفه لاغراض سياسية مبيتة، فان ذلك لاينتقص من أهمية وجدوى القرار وتقدميته لأن اغلب قواعد القانون الدولي العام يمكن بكل يسر التعامل معها بمعايير مزدوجة وتفسيرات متناقضة، فتلك ازمة بنيوية لاحقت القانون الدولي منذ نشأته لانه أساساً يختلف عن القانون الداخلي في عدم توفره على اجهزة تنفيذية متكاملة وتلقائية الأداء.

ويروي الكاتب كما فعل قبله (جوناثان راندل) في كتاب "أمة في شقاق" قصة وعوامل تبلور هذا القرار وخلفيته. والواقع أن المزيد من الاقلام الكوردية ينبغي أن تخوض في هذا المضمار لاغنائه ولازالة التعتيم عليه لكونه فاتح عهد جديد، وسنداً دولياً للنضال التحرري الكوردي وتجربته في الإدارة الذاتية في العراق، وايضاً لعموم الحركة الوطنية العراقية المعارضة، لذلك كان ناشر "كوردستان ودوامة الحرب" محقاً حين نعت احتشاد الاقلام الكوردية للكتابة عن شعب اعتصرته المحن وقضية عادلة طحنتها الحروب، بالإنعطافة المهمة لأن "سيرة القضية الكوردية كثيراً ما لحقت بها من قبل الغرباء نتوءات هي بريئة منها ورتوش رديئة لاتنسجم مع تقاسيمها". أن التطورات الجذرية الحاسمة التي نقلت القضية الكوردية في العراق أواخر الثمانينات من كهوف النسيان الى اضواء العالم الكاشفة وجعلتها واحدة من القضايا الساخنة التي لاتبهر الانظار فحسب، بل وتحرقها إن لم تتعهدها بالعناية أو وقفت صامتة ازاءها. هذه القضية تستدعي تضامن جهد أكاديمي- سياسي كوردي مخطط ومنسق لادامة آنيتها وشرح تفاعلاتها وتحليل واقعها وآفاقها المستقبلية، فحاضر الكورد لايجوز أن يكون كسجل ماضيهم الذي تولاه على الاغلب مستشرقون طالما فسروا الاحداث لخدمة توجهات دولهم رغم الأهمية القصوى لجهودهم لجهة درء ضياع المادة التاريخية.

في الفصل السادس من الكتاب يتعرض الكاتب لتنازع النفوذ الإقليمي والدولي

على كوردستان ولايكتفي بشرح ابعاد نفوذ الدول المقتسمة لكوردستان، بل يضيف اليه استعراضاً للدور المصري الذي بدأ يتنامى في الآونة الأخيرة وكان من ملامحه ندوة الحوار الكوردي-العربي في القاهرة عام ١٩٩٨ وصدور عدد من الكتب الايجابية، المنصفة عن القضية الكوردية، وفتح مكتبين في القاهرة للحزبين الكورديين الكبيرين في كوردستان العراق.

وكان الباحث سعدالدين ابراهيم رئيس مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية قد خصص فصلاً من كتابه الشهير "هموم الاقليات في الوطن العربي" للقضية الكوردية شكل رداً علمياً ناضجاً على الكثير من التوجهات الخاطئة والمنافية للواقع التي سادت الكثير من الكتابات العربية عن الكورد ردحاً من الزمن.

وختاماً فان المؤلف محمد إحسان لم ينس وهو يكتب عن حق تقرير المصير للشعب الكوردي أن يدافع عن قرار الفدرالية المعلن من قبل البرلمان الكوردستاني عام ١٩٩٢ كصيغة جديدة وحضارية لتكييف العلاقة بين الشعبين العربي والكوردي في العراق ضمن دولة ديمقراطية قائمة على التنوع في اطار الوحدة، وليس الوحدة القسرية التي تلغي الوان الطيف العراقي وتنفي خصوصيات موازئيكه الاثني.

ويرى المؤلف بحق "ان تثبيت دعائم علاقات طيبة بين الشعبين وإعادة بناء هيكل الدولة القانوني والدستوري على مبادئ جديدة سوف يقضي قضاءً مبرماً على الخيار العسكري الذي طالما استخدمته الحكومات العراقية المتعاقبة".

فالفدرالية اذ تعمق النهج الديمقراطي سياسياً وإدارياً وتضمن التعددية، والحقوق القومية الكوردية، فإنها في الوقت ذاته ضمان لوحدة العراق لا لتقسيمه أو تجزئته كما يتصور البعض حتى داخل المعارضة العربية.

***

عامان على إعتقال زعيم حزب العمال الكُردستاني
تصحيح المسارات يستوجب فهماً واقعياً لقضايا الكورد

الزمان ٢٠٠١/٢/١٩

في الخامس عشر من الشهر الحالي مرّ عامان على إعتقال زعيم حزب العمال الكوردستاني عبدالله أوجلان، بعد مطاردة دامت ١٢٩ يوماً لم يستطع فيها أوجلان أن يقنع أية دولة في العالم بمنحه ملاذاً آمناً. وكان قد خرج من سوريا بعد إتفاق (أدنه)

الأمني بين دمشق وأنقرة المبرم في ١٩٩٨/١٠/٢٠ والقاضي بمنع نشاط حزب العمال الكوردستاني في الاراضي السورية وغلق معسكراته وفتح خط ساخن بين سوريا وتركيا للتنسيق لهذا الغرض.

وكان إعتقاله صاعقاً لأنصاره، ومفاجئاً للكورد، ومحرجاً فيما بعد للجهات التي ساعدته عسكرياً وسياسياً لانه قدم اعترافات اعتبرت كنزاً معلوماتياً، متوجاً بذلك ماسبق اليه الرجل الثاني في الحزب (شمدين ساكك) الذي اعتُقل في أيار (مايو) ١٩٩٨ وفي محاكمته يوم١٩٩٨/٩/٣ كشف النقاب عن خيوط علاقات أوجلان ومقرات عمله.

وشكّل هذان الإعتقالان ضربة عميقة الاثر سياسياً وعسكرياً ومعنوياً لحزب العمال الكوردستاني الذي تأسس في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٨ ليكون -كما زعم في وثائقه التأسيسية- بديلاً لكل التكوينات السياسية الكوردية التي سبقته وعاصرته، لانه لجأ الى تخوين الجميع والغاء مفاصل التأريخ وإلتزام النهج العنفي وسيلة للتعامل مع الآخرين.

وبعد الإعتقال وما رافقه من تداعيات وانهيارات بدا الحزب مثخناً بالجراح فجناحه العسكري محكوم في تحركه الميداني بالإتفاقات الأمنية بين دول الجوار كإتفاق (ادنه) بين سوريا وتركيا وإتفاق بين الأخيرة وإيران ابرم في ١٩٩٨/١٢/١٠. اما تحركاته على الساحة الكوردية - العراقية فهي محفوفة بالمخاطر لأن حزب العمال ارتكب خطأً جسيماً بمقاتلة كورد العراق منذ عام ١٩٩٢ بعد أيام من إعلان الإدارة الذاتية وإنتخاب البرلمان، وقيامه طوال السنوات الماضية بشن عمليات تخريبية على المرافق المدنية في منطقة عانت عقوداً من التدمير والحروب. ولم يوظف حزب العمال وجوده في تلك المنطقة لصالح تعميم السلام وإعادة الاعمار، بل لجأ الى سياسة تأجيج الصراعات واستثمارها لصالحه ك(حزب ثالث) في كوردستان العراق، بدلاً من الانخراط في هموم وشؤون ساحته الاصلية وتجنب استنزاف كوادره وموارده في ميادين ثانوية وإقتتالات عقيمة.

وبدا جناح الحزب السياسي بعد إعتقال أوجلان أمام تركة ثقيلة من الأخطاء والعثرات لايمكن لإجراءات سطحية أن تلغيها من جسم الحزب الذي عقد مؤتمره الخامس عام ١٩٩٥ لتخطي اخطاء عقدين بعد التأسيس، ولكنه وجد نفسه في المؤتمر السادس في عام ١٩٩٩ في وضع التائه في الصحراء ببوصلة معطوبة فحاول التشبث بنهج إيمرالي، وهي السياسات والمواقف الجديدة التي اعلنها أوجلان في معتقله بجزيرة

(إيمرالي) ليرتهن بذلك قرار الحزب الى الوضع الشخصي لزعيمه المحكوم بالإعدام وفق المادة (١٢٥) من قانون العقوبات التركي –وان كان إعدامه امراً مستبعداً بعد تدخلات جهات أوروپية– ولكن هذا النهج اذا كان قد انقذ زعيم الحزب من الإعدام الا انه اعدم القرارالسياسي المستقل المتبلور وفق التغيرات المستجدة والوضع الجديد للحزب واستراتيجيته المستقبلية وخياراته النضالية، وليس وفق الوضع الحياتي اليومي لسجين إيمرالي.

ان الحزب بحاجة الى مراجعة متأنية لكل تكوينه النظري الآيديولوجي وممارساته التطبيقية والى إعادة تقييم شبكة علاقاته وخطابه الإعلامي، ونظرته الى ماضي وراهن وآفاق القضية الكوردية وبناء علاقة قائمة على الإحترام المتبادل مع الأحزاب الكوردستانية الفاعلة على الساحة، وتغيير أسلوب تعامله مع وضع كوردستان العراق وادارتها الإقليمية، لينضم بذلك الى اجماع الرأي العام الكوردي وانصار النضال التحرري الكوردي في كل مكان.

على صعيد آخر، فان تحالفاً واسعاً لأحزاب كوردستان تركيا كفيل بإنجاز خطوة متقدمة الى الأمام، ولابد لحزب العمال الكوردستاني أن يحرر نهجه بشكل يستقيم للدخول في اطار كهذا والخروج من نفق التغريد خارج السرب.

ان القوة الجماهيرية للحزب المتركزة في عدة ساحات أوروپية فقدت ديناميكيتها وقدرتها على الاقناع والتأثير في الوسط الأوروپي اثر المنع الذي لحق نشاطاته منذ عام ١٩٩٣ وما رافقها من أعمال عنف اثرت سلباً على الأمن الإجتماعي لدول عديدة وولدت نظرة حافلة بالاستهجان لعموم مصداقية حزب العمال الكوردستاني لدى المواطن الأوروپي العادي والنخبوي، ما يعني أن الحزب أمام تحدٍّ ليس بالسهل لتغيير هذه النظرة وإعادة شيء من التوازن الى ميزانه المختل أوروپياً.

ان أوجلان البالغ من العمر (٥٠) عاماً ودارس العلوم السياسية لغاية عام ١٩٧٤، عجز عن توظيف التعاطف الأوروپي والعالمي مع قضية تحررية عادلة وخلق بنهجه الفردي عداوات على كافة الأصعدة، فالرجل كما يبدو في خطبه النارية وفي كتابَي (سبعة أيام مع آپو– أوجلان) و(كيف نعيش) ظل يحتفظ برؤيته غير المألوفة ونهجه غير المعقول في العمل سواء مع اصحابه أو مع مناصري النضال التحرري الكوردي، هذا النهج كان مقدمة لتدمير الذات والقضية وكان الاجدر به أن يكون وتداً للبناء ولمراكمة التطور.

بالتأكيد أن أوجلان تطلع الى "القارة القديمة" اي أوروپا لانها كما قال في طلبه

اللجوء السياسي من ايطاليا "الأكثر استجابة لمطالب شعب مقهور"، ولكن هذا التطلع جاء متأخراً في وقت كانت شبكته العلاقاتية منهارة في أوروپا ودخل قائمة المنظمات الإرهابية التي اعدتها الخارجية الأمريكية عام ١٩٩٧ لذلك بدا غريباً في مكان يلوذ به وحتى في ايطاليا التي وصفها في تصريح لصحيفة (لاريپوبليكا) بأنها المقر المثالي لتنظيم مؤتمر سلام حول المسألة الكوردية.

والآن بعد عامين من الإعتقال فمن المؤكد أن قطاعات واسعة من الكوادر في الحزب يتحسسون حجم الثمن الباهظ الذي دفعوه، وهم بصدد مراجعة الذات وغربلة المتراكم من الأعمال لإعادة الصورة الحقيقية الى الواجهة من غير تشويهات ورتوش.

ان تصحيح المسارات يمكن أن يتم بالتحلي بالنهج الواقعي وفهم فروض العصر وخصوصيات الوضع الكوردي في تركيا، واستثمار الاجواء الجديدة نسبياً في النسيج السياسي التركي بصدد المشكلة الكوردية، والاستفادة من السياسة الأوروپية تجاه الانضمام التركي للإتحاد الأوروپي من خلال التأكيد على معايير (كوبنهاگن)، واذا كان شيء من هذا التوجه قد تبلور في المؤتمر السادس للحزب فانه بمثابة البذرة التي مازالت في طورها الجنيني، وعلى كل اجهزة حزب العمال الكوردستاني ان تعتبر ماضيها محطة مغادرة لايجوز العودة اليها.

وفيما يخص الجانب التركي فانه ينبغي أن لايبتعد عن توقيت العصر ومستحقاته وان يوفر الارضية المناسبة لحل أكبر معضلة قومية تواجه المجتمع وتعرقل تحركه نحو الاسرة الأوروپية، والإنتخابات المحلية الأخيرة وفوز حزب الشعب الديمقراطي (هادب) الموالي للمطالب الكوردية في (٣٨) بلدية، يعكس رأي الناخبين وارادتهم مثلما يعكس الحاجة الجديدة لتحسين الواقع الديمقراطي في تركيا من خلال عنوانين رئيسين هما ملف حقوق الإنسان والقضية الكوردية.

***

عن الإسلام السياسي في كوردستان

الحياة ٢٠٠٠/٢/٢٢

كان غريباً ومنافياً للواقع أن يتضمن مقال عثمان علي المعنون "الإسلاميون والتجربة الديمقراطية في كوردستان العراق" في "الحياة" يوم ٢٠٠٠/٢/٢ عبارة منها "ازدياد عمليات الإعتقال التي تقوم بها منظمات الحزب الديمقراطي الكوردستاني في أربيل

ودهوك ضد العناصر الإسلامية". فلا جدال أن الديموقراطي الكوردستاني هو الطرف الأكثر حاجة للسلام والأمن الداخلي وايضاً لتوظيف فرص السلام للتقدم الى أمام بخطى حثيثة نحو الازدهار الإقتصادي المرتبط بالأمن السياسي. لذلك نطمئن الكاتب أن الإسلام في كوردستان العراق بخير وان الحركات الإسلامية الكوردية شهدت وتشهد حقبة انتعاشها ضمن اللعبة الديمقراطية. ولكن بما أن كاتب المقال اورد مايفيد بوجود حملة مخططة لتقزيم أو إضطهاد الإسلام السياسي في الإقليم، وبما انه برر ذلك وفق زعمه بتنامي دور التيار الإسلامي وبشّر بدوره الوشيك المتنامي على حساب التيار القومي الديمقراطي كما يورد في مقاله الآنف الذكر، لذلك رأينا من الواجب تسجيل جملة من الحقائق التي يعترف بها اغلب السياسين والمثقفين الكورد:

اولاً: تأخر بروز الإسلام السياسي في كوردستان لحقيقة بسيطة جداً وهي أن التيار القومي الكوردي وفصيله الأكثر متانة وقوة وعراقة، اي الحزب الديمقراطي الكوردستاني، المتشرب بتراث مؤسسه الزعيم الكوردي الراحل مصطفى البارزاني بقي على وفاق تام مع الإسلام وتعاليمه وضد اي توجه يفضي الى انكار دور دين الغالبية العظمى من الكورد في حياة المجتمع الكوردي، بل أن التيار القومي التحرري الكوردي نجح في توظيف معاني العدالة الإسلامية، ودمجها بالفكر الوطني القومي التحرري الكوردستاني. فحين سئل البارزاني الراحل بعد عودته الى الوطن عام ١٩٥٨ في اعقاب نحو ١٢ عاماً من اللجوء في الإتحاد السوڤياتي السابق عن احسن كتاب قرأه في تلك الفترة اجاب من دون تردد بأنه القران الكريم. وكان الراحل في اجابته تلك صادقاً مع نفسه ومع سيرة حياته وتفكيره، لذلك التف حوله إتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان وأسسوا بتشجيع منه إتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان.

لذلك حين تأسست الحركات الإسلامية السياسية في كوردستان العراق نهاية الثمانينات كان انتشارها بطيئاً بين السكان ولم تصبح بديلاً للتيار القومي الكوردي الذي بقي نائياً عن ضيق الافق القومي والانعزالية معترفاً بأهمية التواصل مع المحيطَين العربي والإسلامي.

وتبعاً لذلك نجد أن الحركات الإسلامية حازت في إنتخابات عام ١٩٩٢ في الإقليم على نسبة ٥ في المئة فقط، وهذا لايعني بتاتاً الانتقاص من دورها أو الاستهانة بإمكاناتها المستقبيلة، ولكن ذلك يثبت مرة أخرى أن خصوصية الحركة التحررية الكوردية وطبيعتها القائمة أساساً على رفع الغبن التاريخي الواقع على الكورد،

جعلتها تستوعب وتتفهم مع التيارات الإسلامية الكوردية، وان لاتتخندق ضدها كما حصل في مجتمعات عديدة لعل الجزائر ابرز امثلتها.

ويقول الكثير من المثقفين الكورد في الداخل -بحق- لو لم يكن الديموقراطي الكوردستاني واجهزة الإدارة الإقليمية ديموقراطية في تعاملها وتوجهها مع الأحزاب الإسلامية ومع واقع التعددية الفكرية، التي تبعد بعد الثرى عن الثريا عن الواقع في مناطق العراق الأخرى، لما حاز مثلا حزب الإتحاد الإسلامي على نسبة جيدة وملحوظة من الاصوات في إنتخابات الطلبة في جامعة "دهوك" العام الماضي، وهي نتيجة لم تقابل ابداً كما يعلم الجميع في الداخل بأية حملة إعتقالات، بل قوبلت برحابة صدر وبنظرة واقعية للامور، بل وبوقفة انتقادية للذات وليس للآخرين، وهذا الموقف هو الذي اهل مجدداً إتحاد طلبة كوردستان للفوز بفارق اكبر من الاصوات هذا العام في كافة كليات الجامعة المذكورة بعد أن قدم للطلبة على الصعيد المهني إنجازات ميدانية وليس لانه قريب من الحزب الحاكم اي الديموقراطي الكوردستاني.

ثانياً: إن حوادث التفجير الأخيرة في أربيل ومدن كوردية أخرى وعمليات الإرهاب التي تعرض لها الكتاب الكورد في كوردستان العراق، هي بلاشك ظاهرة مستهجنة أياً كان الواقفون وراءها سواء كانت أيادي خفية لهذه الدولة الإقليمية أو تلك، أو جهة اصولية كوردية قد تفكر في بناء نموذج مجتمعي يثبت يومياً فشله في اقاليم عديدة من العالم. والحقيقة التي ينبغي أن تقال إن الوقائع والتحقيقات التي جرت لغاية الآن، اثبتت بأن منفذي هذه الحوادث الغريبة يقفون -على الاقل ظاهرياً- ضمن الصف المدّعي بالإسلام الاصولي، وهذا يقتضي من التيارات والأحزاب الإسلامية الكوردية الناشطة علناً أن تعلن عن مواقفها الصريحة ممايحدث وأن تنضم الى صحافة الإقليم في التعبئة لحملة سياسية فكرية تستأصل هذه الآفة، وعدم الانجرار الى ترجمة عمليات إعتقال المتهمين وكأنها بادرة لشن هجوم سياسي على الأحزاب الإسلامية وهذا ما لم يحدث راهناً ولانعتقد أن مآل الاحوال سيكون كذلك مستقبلاً، ثم إن واجب صيانة الديمقراطية والتجربة الحالية لكورد العراق هو عبء على اكتاف الجميع، بل وفي المقدمة منها الأحزاب الإسلامية لأنها مازالت ناشئة والرئة الوحيدة التي تتنفس منها هي الديمقراطية، وسنكون اول المصفقين لو حسمت صناديق الاقتراع المسائل السياسية لصالح التيار الإسلامي في كوردستان العراق.

ثالثاً: نجزم بأن ليس هناك طرف ثالث يحاول دفع الديمقراطي الكوردستاني الى مواجهة

مسلحة مع الإسلاميين، فالحزب غير مؤمن بذلك وفي غنى عنه، ولكن العقل والمنطق وموجبات الأمن السياسي في الإقليم تستوجب على كل الصف الإسلامي الكوردي أن يبقى عاملاً وناشطاً ضمن اجواء الانفتاح الديموقراطي وعدم تلمس سلوك الدهاليز والانفاق الباطنية للعمل ما دامت بساتين التعددية الفكرية مشرعة الأبواب. أن ما يجب أن نتجنبه جميعاً وقبل الجميع، الأحزاب الإسلامية الكوردية، هو أن تصبح كوردستان العراق اسوة بغيرها من الساحات في العالم، حقلاً للتفجيرات والتكفير والتكفير المقابل والاتهامات التي ليس لها اول وليس لها آخر حول اهلية هذا الطرف أو ذاك في تمثيل الإسلام النقي.

فالإسلام كان وسيبقى القيمة العليا التي لاتعلوها قيمة لدى سكان اقليم كوردستان، ولكن الاعتصام سيكون بحبل الله فقط، وليس بأية نزعة رغبوية شخصية تستأثر بالتقرب من الله تعالى وتكفّر كل الآخرين.

ان افضل الحلول الواقعية يكمن في أن يتوحد المجتمع الكوردي بكل الوان طيفه السياسي وبكل مافيه من مثقفين وسياسيين وأكاديميين وعلماء دين أفاضل ونشطاء إجتماعيين لمنع بوادر ظاهرة هدمت مجتمعات وما زالت تحفر معول الهدم والتدمير في أكثر من بقعة في العالم الإسلامي، وتلك مهمة مقدسة وتصبح أكثر تقديساً حين يتعلق الامر بالكيان الكوردي الفتي الذي مازالت تثقله آثار الإقتتال الداخلي، واذا اصابته كارثة الاصولية المتطرفة فسيكون ذلك -لا سمح الله- إصابة في مقتل.

***

الهوية حين تصبح موضوعاً معرفياً

الزمان ٢٣/٢/٢٠٠٠

يعود الوجود الكوردي في ألمانيا الى عقد الخمسينيات حين قدم عدد من الطلبة للدراسة في الجامعات الألمانية ووفدت أعداد من العمال الكورد من كوردستان تركيا ضمن اقرانهم الأتراك للعمل في الدولة الألمانية التي كانت حينذاك في أمسّ الحاجة للايدي العاملة الرخيصة لإعادة اعمار بنيتها التحتية المدمرة في اعقاب الحرب العالمية الثانية، وكانت تركيا في مقدمة الدول التي توافد منها "العمال الضيوف" حسب التعبير الألماني للمساهمة في إعادة العافية الى إقتصاد دولة تفخر الآن بانها وطن المعجزة الإقتصادية.

فهؤلاء الأتراك اذن لم يكونوا في واقع الامر موحدي العرق والإثنية واللغة رغم انتمائهم الى الدولة التركية، بل تحدرت نسبة كبيرة منهم من الاقاليم الكوردية في تركيا أو ما يسمى جنوب شرق الاناضول وفق التعبير الرسمي وهي واحدة من افقر المناطق وأكثرها بؤساً في العالم.

وإذا كانت جموع العمال منهمكة في العمل طلباً للرزق ولمستقبل معيشي افضل، كانت نخبة مثقفة قليلة العدد ولكن واعية لأعباء النضال التحرري قادمة من كوردستان سوريا وكوردستان العراق، تتحرك في سياق آخر يتعدى مجرد البحث عن لقمة العيش ويتجاوز التحصيل العلمي الأكاديمي البحت الى العمل للتوعية بالهوية الكوردية المهمشة والمقزمة بل المحرمة في تلك الأيام، وذلك بالاستفادة من هامش الحرية الرحب في الساحة الأوروبية وآليات العمل المرنة فيها وكان أن إنبثق أول تنظيم كوردي في أوروپا في مدينة (ڤيسبادن) الألمانية عام ١٩٥٦ بإسم جمعية الطلبة الكورد في أوروپا التي لعبت أدواراً فاعلة في العمل الدعائي والوطني الكوردي.

كانت تلك إذن الشرارة الاولى التي تسللت إشعاعاتها الى حشود العمال الكورد لتوقظ فيهم بواكير وعي آخر بالإنتماء الى جذور أخرى وهوية أخرى مغايرة للهوية والجذور التركية.

ولكن عملية تحسس هذه الهوية لدى كورد تركيا في الخارج ومن ثم استيعاب المغزى السياسي لهذه الهوية، سارت ببطء ولم تتفجر تجلياتها الا في منتصف السبعينيات وكانت ثورة أيلول (سبتمبر) التحررية في كوردستان العراق بطول امدها وتجذر إمتداداتها، ومن ثم لاحقاً بمصيرها المأساوي بفعل مؤامرة دولية، عاملاً حاسماً حرك سواكن الجاليات الكوردية في أوروپا وسرّب اليها وعياً شديداً بالإنتماء للشعب الكوردي الذي لا اصدقاء له الا الجبال، ودافعاً لايُقهر للدفاع عن الهوية وصيانة خصوصياتها.

وحين نقارن الحالة الكوردية الراهنة في أوروپا، وبالذات في ألمانيا، مع الماضي نلاحظ أن تطوراً إنعطافياً نوعياً قد طرأ عليها فهي الآن جالية مؤثرة ونشطة فرضت نفسها وحرضت المواطن العادي وكذلك السياسي والأكاديمي لجعلها ضمن إهتماماته بشرط أن لاتنحدر الى مسارات عمل غير حضارية وغير متفقة مع اجندة الحياة الديمقراطية في القارة الأوروپية. ففي ألمانيا مثلاً من المستحيل إلغاء هموم أكثر من نصف مليون كوردي مهاجر لهم عدد وافر من المنابر والهيئات والمراكز السياسية والثقافية والإجتماعية ويشكلون حالة سياسية واقعية، بغض النظر عن عدم الإعتراف

القانوني بالكورد كجالية قائمة بذاتها.

في أوائل التسعينات ومع الضجة التي اثارتها المظاهرات الكوردية الصاخبة وبعض أعمال العنف التي تخللتها ولاسيّما ابان إحتفالات (نوروز) حيث يبلغ النشاط الكوردي اوجه ومع انتقال "الحرب الكوردية" الى الشارع الألماني تكثف إهتمام الاوساط الألمانية بالوجود الكوردي بين ظهرانيها واتخذ الإهتمام أكثر من مسار تمثل في الدعوة لصيانة السلام الداخلي في ألمانيا ولجم التوجيهات العنفية لشرائح كوردية نشطت تحت خيمة حزب العمال الكوردستاني وادت لاحقاً الى منع نشاط هذا الحزب عام ١٩٩٣ والى ذلك تنامى لدى مؤسسات البحوث والمنابر الأكاديمية الألمانية شعور واقعي أن الجالية الكوردية رغم سعة نشاطها وإمتداداتها وتأثيراتها لم تصبح بعد تطبيقياً مادة للبحث والاستقصاء والتحليل المنهجي الذي سيفضي الى رؤية افضل لواقع وآفاق هذه الجالية المسيّسة والمرتبطة مصيرياً بقضية قومية ملتهبة.

وكإنعكاس لهذا الوعي الألماني الجديد تأسست مؤسسات كوردية-ألمانية كان احدها المركز الكوردي للمعلومات والوثائق الذي اصبح الآن يعرف بمركز الدراسات الكوردية في ألمانيا الذي يقوم ضمن مراكز أخرى بتقديم قراءة جديدة للوضع الكوردي في ألمانيا تتوخى الاستقراء والإستنتاج والتوثيق الاحصائي لمشاكل الجالية الكوردية وهموم الجيل الثاني المولود في ألمانيا، لاسيّما بعد أن لوحظ أن الشباب الكوردي ليسوا اقل إندفاعاً في الصراع من اقرانهم الأتراك مع فارق أن الجيل الثاني الكوردي مهيأ ومعبأ أكثر من الجيل الاول لجهة اجادته الألمانية وهضمه لأساليب وطرق العمل والتفكير والاداء وفق النمط الأوروبي والاحتفاظ بسيولة أكثر في التسرب الى مفاصل المجتمع الألماني وتفعيل قناعاته بالإنتماء وبالهوية الكوردية وبعدالة قضية الكورد في الوطن.

ضمن هذه المناخات كان جمهور من المثقفين الكورد والألمان على موعد مع ندوة حول الهوية الكوردية دعا اليها مركز الدراسات الكوردية في ألمانيا في مبنى جامعة (بون) يوم ١٦/٢/٢٠٠٠ وكان كاتب هذا المقال ضمن المشاركين فيه. ألقى رئيس المركز المنظم للندوة، التي دامت يوماً، كلمة اكدت أهمية هذه الخطوة في الاقتراب أكثر من مشاكل وهموم الجالية الكوردية حيث قال متين انجسو "ان غالبية الألمان وحتى في دوائر الدولة اخذت تدرك ببطء حجم التمايز والتنوع اللغوي والثقافي والديني بين المهاجرين واللاجئين... ارى من الضروري اعارة الإهتمام اللازم لمشاكل الشباب الكورد وخصوصية هذه الهموم... أن المواجهات والصراعات التي يمارسها هنا متعلقة بآثار وافرازات الحرب الكوردية في الداخل". أما الباحثة الألمانية د. سوزان شميت التي تعد دراسات ميدانية

عن هموم الشباب الكوردي في ألمانيا وسبق لها أن اصدرت كتاباً في هذا المضمار العام الماضي بعنوان "أن تكون كوردياً أو لاتكون" فقد شددت على أن اية دراسة تربوية ميدانية لاتأخذ خصوصية الهموم الكوردية بنظر الإعتبار تبقى عاجزة عن اداء وظيفتها في إقتراح الحلول للمشاكل العالقة. واستعرض الباحث كارستن بروك نظرة الدوائر الألمانية الى الشباب الكوردي وكيفية تعاملها معهم ودعا الى تعديل هذه النظرة.

ولكن أهم محور سجالي وإشكالي والذي يعتبر أساس انعقاد هذه الندوة كان "التمييز الاثني بين الشباب بجانبيه العلمي والسياسي" اي إعتبار أو عدم إعتبار الخصوصية الإثنية معياراً للعمل والتصرف والتعامل مع الجاليات المختلفة الهوية، فالسؤال كان هل ينبغي وضع الجميع في سلة واحدة بشكل كوزموپوليتي، أم العكس أي التعامل مع المهاجرين وفق تمايزاتهم. وقد تحدث حول الجانب العلمي لهذا المحور الدكتور بوكو من جامعة (كولن) والباحث الكوردي د. فرهاد ابراهيم من جامعة (برلين الحرة) وآخرون، وخلص المحاضرون الى أن الدولة الليبرالية لها أن تتخذ كلا الخيارين اي "موديل التمسك بالخصوصية الإثنية" أو اللجوء الى تطبيق القوانين والإجراءات والتعليمات الإدارية وتسهيلات العمل والنشاط وفق سياسة اجمالية واحدة موحدة بشرط سريان اي من هذين التعاملين على الجميع دونما انتقائية في المجال التطبيقي، حيث لاحظ الحاضرون أن الدولة الألمانية اذ تعترف بكثير من الاثنيات الاجنبية وتتبع تجاههم سياسة قائمة على خصوصيتها، فإنها فيما يخص الجالية الكوردية لاتعترف-قانونياً بإستقلاليتها كجالية على الرغم من أن هذا اللإعتراف لم يمنع من التأثير الفعال للكورد على ساحة الألمانية الحافلة بالنشاطات والفعاليات الكوردية.

يجدر الذكر أن المداخلات اذ اعترفت بأن الخصوصية الإثنية للجميع ينبغي أن تحوز الإعتراف القانوني بها، الا انها في الوقت ذاته دعت الى أن يكون ذلك ضمن سياق تربوي ايجابي لاثبات الذات وتنميتها، لامسوغاً آخر للصراع والتنافر. ممثلة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم كانت واضحة جداً حين اعلنت "اننا لانعمم الصورة السلبية التي كونها البعض وبالذات الـ(پ.ك.ك) حول الكورد وننظر الى الكورد كشعب قائم بذاته له تاريخه وثقافته وتراثه وقضيته العادلة ويجب أن تتضافر جهودنا لمساعدته في سياق احقاق حقه".

ختاماً لقد كان احد الكتاب الألمان رائعاً ومحقاً حين اطلق عبارة شهيرة مفادها أن ألمانيا قصدت استقدام عمال كضيوف ولكن جاءها بشر، فالعامل اذ جاء جلب معه كل مكوناته الإنسانية وتطلعاته وهمومه واصبح مكان عمله هو وطنه الثاني الذي يمارس

فيه إنسانيته وبالنسبة للكورد اصبح الوطن المضيف هو الوطن الفعلي الذي فيه حريته لأن الوطن-الأم مغيب عن الخارطة السياسية للعالم.

***

دورة الاحداث الكوردية الكبرى...

البارزاني استهلال الرحيل بالولادة

الزمان ٢٠٠٠/٣/٢

كل عام في الفاتح من آذار (مارس) ومع إطلالة أولى خيوط الشمس على بواكير البراعم المشرئبة بين ثغور الصخور، تبدأ في كوردستان العراق مسيرة قومية فيها الكثير من المعاني الوجدانية والنكهة الحميمة، تشارك فيها مواكب باتجاه ضريح الزعيم الكوردي الراحل مصطفى البارزاني، وذلك بمشاركة الكورد في أجزاء كوردستان كافة وفي مواقع الشتات والمهجر، تعبيراً عن الوفاء لرجل احرق كل شموع العمر لقضية عادلة ووطن مقسم ومغيّب عن الخارطة السياسية للعالم، ولقيم الحق والعدالة التي وجدها تمرغ في التراب في خضم حروب مستمرة ارادت أن تقتلع جذور الشعب الكوردي وتلغيه من الوجود بكل اسلحة الفتك والهدم والدمار.

كان البارزاني هو الناهض منذ أوائل الثلاثينات بالدور الريادي في صد هذه الحرب ومواصلة تعريتها أمام العالم من دون ملل أو كلل لغاية رحيله في الاول من اذار عام ١٩٧٩ مخلفاً وجوده الأخضر الابدي في ذاكرة الإنسان الكوردي وكل دعاة الحرية ومناصري النضال التحرري للشعوب.

إستوعب البارزاني الجهد النضالي الذي بذله سابقوه وقرأ الواقع الجديد الذي نشأ بعد اخماد الثورات الإستقلالية في كوردستان بقيادة الشيخ (سعيد پيران) عام ١٩٢٥ في تركيا وثورة الشيخ (محمود الحفيد) في كوردستان العراق، والاثر الوخيم الذي افرزته إتفاقية لوزان لعام ١٩٢٣ التي وأدت الحلم الكوردي بالإستقلال الناجز لأمد طويل، فركز على نشدان الحل الواقعي المرحلي للقضية الكوردية، التي باتت تعني تغيير خرائط اربع دول في المنطقة وبملاحظة قارية ارض كوردستان واحاطة دول الطوق بها احاطة السوار بالمعصم، لجأ البارزاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني فيما بعد الى بلورة نظرية الدعوة للديمقراطية في هذه الدول المقتسمة للشعب الكوردي، ما يعني بالضرورة تمتع الأخير بحقوقه المشروعة. ولم يكن من ذلك بد فالتقسيم الرباعي

لكوردستان ادى الى تحجيم شعار الحركة التحررية الكوردية وتقييد حركتها وديناميكيتها واخضاعها لازمة جيو-سياسية لازمتها ومازالت لغاية الآن.

وكانت ثورة أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦١ التي امتدت لغاية اذار (مارس) ١٩٧٥ التدشين العملي لهذه النظرية التي اصبحت في الواقع تحكم عموم توجهات فصائل الحركة الكوردية في أجزاء كوردستان كافة، فالثورة المذكورة دعت الى الديمقراطية في العراق والحكم الذاتي لكوردستان، وظلت على وفاق وتفاهم مع القوى العراقية المتفهمة لطموحات الشعب الكوردي، واصبحت بنهجها التحرري الخندق الذي يلجأ اليه عموم العراقيين الوطنيين المدافعين عن الديمقراطية في العراق مثلما حصل عام ١٩٦٣ ابان تفاقم المد الشوفيني وصدور القانون رقم (١٣) السيء الصيت القاضي بملاحقة الكورد والشيوعيين.

دشن البارزاني وعياً نضالياً يقوم على حقيقة أن القضية الكوردية بتعقيداتها المعقدة هي قضية اوسع القطاعات الكوردية الشعبية بكل تلاوينها الفكرية والإجتماعية، ولايمكن لاي تجمع فئوي، ايديولوجي، شرائحي أن يزعم انه وحده المؤهل لتمثيلها.

لذلك كان دائم التذكير أن قضية الكورد هي قضية شعب وليست قضية حزب بذاته، وكان يرى في الحزب وسيلة لبلوغ تخوم الحقوق المشروعة لشعب مغبون تاريخياً وليس غاية قائمة بذاتها.

كان البارزاني امينا على التواصل مع المحيطين العربي والإسلامي وعمل ضمن توليفة أفكار تحررية جعلت نضاله القومي متناسقاً مع وطنيته العراقية، ومع صلات الوصل التاريخية بالشعوب الإسلامية، ولكنه ظل -بحق- يرى أن الكورد أيتام العالم، وهم ايضاً ايتام العالم الإسلامي الذي لايكترث بما فيه الكفاية بمحنة شعب مسلم مستضعف. ومازال الشعب الكوردي مغيباً عن مؤتمرات القمة الإسلامية التي انعقد آخرها في طهران عام ١٩٩٧ وكنا حينه قد اشرنا إلى هذه الحقيقة المرة في مقال لنا نشر في الحياة اللندنية يوم ١٩٩٧/١٢/١٩ ولاحقاً في مجلة (Kurdistan Heute – كوردستان اليوم) الصادرة بالألمانية بعنوان "الكورد والقمة الإسلامية" اوردنا فيه بالنص "ما معنى أن يصدر (١٤٢) قراراً ولايتطرق احدها الى معضلة الشعب الكوردي القومية وهو الذي يعيش قاب قوسين أو أدنى من مكان إنعقاد القمة؟ أوليست مفارقة كبيرة ومُرّة أن يصبح الطريق بين بغداد وطهران معبّداً لحضور وفد النظام العراقي، في حين تغلق أبواب هذه القمة في وجه الكورد ضحايا الحرب العنصرية للنظام نفسه؟"

أما التطبيع بين الحركة الكوردية والمحيط العربي خارج العراق فقد تعرض هو الآخر

إلى الكثير من التلكؤ والتعثر ومر بطرق ملتوية زاخرة بالغبار الكثيف وحتى فاجعة (حلبجة) التي هزت العالم لم تحرك سواكن الانظمة العربية، ولكن جاء مؤتمر الحوار العربي-الكوردي في القاهرة عام ١٩٩٨ ليشكل اختراقاً ناجحاً ومتميزاً للنظرة الكلاسيكية العربية التي قامت على اكداس من الآراء والأفكار والكتابات التي حررها كتاب عرب بوحي من منابر اعلامية رسمية عربية قائمة دونما مسوغ واقعي على اتهام ثورات البارزاني بمحاولة تقسيم العراق، ولكن التجربة الميدانية لكورد العراق منذ عام ١٩٩١ ولغاية الآن اثبتت كم كانت هذه التهمة عقيمة وباطلة.

في ذكرى رحيل البارزاني نتذكر كم كان هذا الرمز التحرري جهادياً في العمل في حقبة التعتيم الإعلامي المقيت على القضية الكوردية وعدالة مطالبها، وكم كان متمرساً في المثابرة برغم بدائية الوسائل المتوفرة لديه مقارنة بالحاضر حيث القضية الكوردية غدت صورة متلفزة دائمة الحضور وواحدة من القضايا المسجلة في اجندة السياسة العالمية، والفضائيات الكوردية تنقل الحدث الكوردي ساخناً أولاً بأول من على ارض الوطن في زمن العولمة والثورة المعلوماتية، وفي حقبة السيادة الكوردية على جزء من ارضه منذ عام ١٩٩١ ولغاية الآن.

واذ نتذكر فاننا في ظلال هذه الذكرى الخضراء ننحني باجلال لنضع اجمل باقات نرجس كوردستان مقرونة بكل ما في القلب من مخزون الحب والحنين على ضريح رجل عظيم مازال بعد (٢١) عاماً على رحيله اكبر الحاضرين بيننا لانه صاحب النبتة الاولى التي نهنأ اليوم بثمارها اليانعة.

***

وجه الكتابة الحقيقي : جنوح الى التمرد والجمال

الحياة ٢٠٠٠/٣/٨

دأبنا على القول أن الكتابة والحرية توأمان، وأزعم أن العلاقة بينهما اعمق حتى من هذا الوصف الدقيق، ففي حالة التوائم البشرية يمكن للتوأم أن يواصل الحياة إذا حصدت يد المنية قرينه.

أما الكتابة فلكي تحفر فعلها التغييري والتحريضي في الأرض وتجذّره فيها، فلابد لها أن تلد من رحم الحرية، فهي حتى لو وُلدت بالإكراه تخرج ميتة وحاملة لشهادة وفاتها بالتزامن مع بيان ميلادها، فالحرية هي حاضنة الكلمة وضمن مناخاتها يمكن

للنص الفكري أو الروائي أو الشعري أن يؤدي استحقاقاته في التعبير واثارة الأسئلة واجتراح اجوبتها، وتأدية وظيفتها بجانبيها السياسي-الإجتماعي والفني.

إن أكداس المقالات والتخريجات التنظيرية التي زعمت عقلنة الأدب وتأطيره بمسامير الآيديولوجيا لم تستطع أن تنتزع النص من جنوحه الأبدي الى التمرد والجمالية والسحر والابهار ورغبته في البقاء من غير تعريف جامع مانع، فهو يظل حاملاً للفجاءة والتوتر والقلق الدائم العصي على كشف كل مكنوناته لمراصد الأنواء الجوية والرافض للإلتزام بما لايلزم.

هذا هو الوجه الحقيقي للكتابة وجذر نشوئها كواحدة من أكثر الآليات لتفعيل عملية الحركة والتطور والتنمية داخل الإنسان والمجتمع، والتلازم بين مسار الكلمة والحرية هو بالذات منبت الأزمة في مجتمعاتنا حين يتصور البعض أن المثقف الحزبي هو كيان مروض مثل كلب (بافلوف) فمواعيد تنفسه وطعامه وحركته وطريقة تعبيره محسوبة ومحددة على وقع اجراس الناقوس.

وأصحاب هذا التصور الفاقد لنبض وديناميكية الحياة هم غالباً المتمرسون في النمط التنظيمي الذي يقيس ثوب العالم على قدر تضاريس جسم الحزب أو التخريج الآيديولوجي، فهم غير قادرين على التأسيس لوعي آخر يرى في الحزب صرحاً ذا عدة منابر وخليطا من الالوان المتمايزة ولكن المتناغمة ضمن نسق واحد، وحزمة أفكار لاينبغي لها بالضرورة أن تتطابق الى حد التماثل الكلي ويكفيها انها روافد قادمة من مصبات متنوعة حافرة لأخاديد نهر الحزب الذي له أن يفتخر اذا حفظ لهذه الروافد الصغيرة فرادتها ضمن الفيضان العارم لحياة الحزب الداخلية بكل ما تحمله من الأفكار والآراء والمواقف وطرق تحليل الظواهر والاحداث والمستجدات في الحياة السياسية الزئبقية الطبيعة.

فهي الكارثة والقصور الحضاري بعينه أن تعلب الدهاليز الحزبية الضيقة، كل الآفاق اللامتناهية لإبداع المثقف وتصدها بحواجز بيان سياسي أو تصريح صحافي مقتضب قد يؤدي وظيفته اليومية اللحظوية المنحازة حتما الى موقف مؤدلج، ولكنه بالتأكيد لايكون عادة وافياً للاجابة على مجمل حزمة الأسئلة المثارة، أو غنياً الى حد إشباع نهم وفضول المعرفة لدى المثقف الذي لابد سيلجأ الى حفر اخدوده النابت من ضميره الحي ومن شغفه في الحفر والتنقيب وصولاً الى لبّ الجواب للموضوع قيد البحث والمناقشة.

لذا فالأحزاب الناجحة التي تنفذ دونما تسلط في النسيج المجتمعي وتنجز مهام الحكم والتغيير ليست هي التي ترفع شعار ديموقراطية الرأي وثقافة التعددية في ثنايا خطابها

السياسي المعلن، بل هي الأحزاب التي تحتكم للصدقية وتستبق المجتمع في خطوة تقويمية وتنشر الديمقراطية في صفوفها أولاً وفي تفاصيل حياتها الداخلية لابعادها عن الباطنية ومسالك الأنفاق المظلمة، وتشرع أمام مثقفيها نوافذ التفكير الحر القائم على الإيمان بتمازج الالوان لابوحدة اللون والرأي والامر القيادي النازل من الاعلى والرافض لأي نسغ مقابل صاعد من الاسفل.

وربما كنا نحن العراقيين الأكثر حساسية تجاه الثقافة السلطوية التي قزمت وشوهت كل المخزون الثقافي الماضي والراهن للعراق وصاغت منه صورة مفتعلة وهامدة لا وظيفة لها الا تأليه الدكتاتور.

وتبعاً لرفضنا لسلطة الدولة وثقافتها الغائبة عن الحياة ونبضها وعن طموح الإنسان والقيم الجميلة في مجتمعنا، فاننا ننظر بريبة وحذر الى ثقافة بعض الأحزاب المعارضة ايضاً اذا مارست نهجاً تسلطياً وتعنتياً احادي الجانب تجاه الثقافة والمثقفين، فالخطاب السياسي العراقي المعارض البديل لابد أن يكون بديلاً في كل شيء دونما انتقائية، وفي المقدمة يتحتم تدشين الثقافة البديلة... ففي البدء كانت الكلمة.

***

لماذا يُراد الاطاحة بالديمقراطية الفتية في كُردستان العراق ؟

الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٣/٩

منذ ربيع عام ١٩٩١، الذي تحول الى ربيع سياسي في كوردستان العراق، رغم سحق الانتفاضة، توج عام ١٩٩٢ بإنتخاب اول برلمان كوردستاني حر وانبثاق الحكومة الإقليمية الكوردية اخذ الكورد والكتاب المعنيون، ينعتون تلك التجربة الكوردية بـ"الديمقراطية الفتية" رغم كل قبح الإقتتال الداخلي، الذي خلف آثاراً كارثية وشوه تقاسيم وجه التجربة واخر نضوج براعمها.

فصفة الديمقراطية الفتية، ظلت تحتفظ بقدر من الصحة والحقيقة، بغض النظر عن الكثير من النواقص ومواطن الضيق التي اعترتها وتعتريها، لأنها حين تقارن بالوضع السياسي والإقتصادي، المتحكم في بقية أنحاء العراق، تبدو المسافة بينهما كالبعد بين السماء والأرض.

وهي، اي التجربة، اذ خرجت مشرئبة العنق من ركام حرب عنصرية بغيضة، دامت عقوداً من الزمن، لم يكن أمامها خيار آخر سوى الجنوح الى محاولة بناء المنظومة

الإجتماعية، الإقتصادية، السياسية البديلة، والمناقضة لنموذج النظام المركزي في الحكم.

فكان أن شهدنا صدور عشرات الصحف والمجلات والدوريات السياسية أو المتخصصة بالكوردية والعربية والتركمانية والآشورية. وتكاثرت المنابر الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة بقدر تكاثر التكوينات السياسية، وذلك في لحظة انتقامية عارمة رداً على سنين القهر والكبت ابان الزمن الرديء تحت سيطرة اجهزة النظام العراقي القمعية.

وعبر الاثير، جرى تدشين قناة كوردستان الفضائية، كأول قناة تحمل نبض الوطن الى العالم لحقتها هذا العام قناة "كوردسات" ومن يدري، فربما تنطلق قنوات أخرى لممارسة ديمقراطية الرأي وتعددية الأفكار على مرأى ومسمع من العالم.

والذي يزور كوردستان العراق، ينبهر أمام سيل المنظمات المهنية والإجتماعية والفكرية، أو المتخصصة بشأن من شؤون الحياة، وسيرى أن بالامكان أن يعبر الإنسان، اياً كان، عن همومه وتطلعاته من دون أن يلاحقه حكم الإعدام أو الموت بكاتم الصوت. كما اعتاد المرء في العراق.

لو تحدثنا عن سلبيات هذه التجربة الديمقراطية، فلا احد سينفيها، ولكن العزاء في أن النتوءات قد ترافق اي تجربة أخرى، بحكم أن لاتجارب مثالية أو بالغة الكمال المطلق. ثم انها تجربة يجري بإستمرار تصدير عوامل الفتك اليها من قبل الآخرين، بتوظيف هشاشة بنيتها وإقتتال نخبها السياسية ودفع المكونات الإثنية والدينية لشعب كوردستان العراق الى حالة تأزم في ما بينها، في وقت يدرك اي منصف وعاقل أن حزمة الحقوق المتوفرة لهذه التكوينات لايمكن أن تقارن بأي شكل من الاشكال بحقوقها في ظل النظام المركزي.

واليوم، ثمة من لجأ الى الإرهاب الجسدي والفكري باسم الدين لنسف هذه الديمقراطية الفتية النسبية وكسر اوتادها المضعضعة اصلاً، والدق على عظامها المتصدعة بفعل الاحتراب الداخلي، في حين كان الاولى بهؤلاء حشد كل مخزون الاقلام من حبر، وكل مكنون العقل من فكر، وكل مضمون القلب من مشاعر، وكل ما في السواعد من طاقة وهّاجة لرفع صرح هذه التجربة واعلاء منارتها، انطلاقاً من حقيقة ناصعة كما الشمس في وضح النهار، هي أن هذا البيت الصغير في المنطقة الآمنة الكوردية، لو تهدم، فإنه سينهار على رؤوس الجميع من ساكنيه دونها إستثناء.

فلتكن بيوت الله في كوردستان العراق، هي أولى المنابر، التي يعلو فيها نداء

السلام والإستقرار والتلاحم الإجتماعي، وهي والحق يقال. أحرى أن تكون بهذه الوظيفة المقدسة فالدين ملك للجميع والمساجد رياض التقرب الى الله والتشرب بالشريعة الإسلامية السمحة، ليست ولاينبغي أن تكون معامل باطنية لتكفير الآخرين، وتزكية نرجسية الذات على حساب سلام ومستقبل شعب باكمله.

***

حول المؤتمر السابع لحزب العمال الكُردستاني

خەبات ٢٠٠٠/٣/٢٤

لم يكن احد يصدق كل هذا العد التنازلي والإنهيار الذي يصيب جسم حزب العمال الكوردستاني فكرياً وشعاراتياً وبنيوياً بعد عام واحد على إعتقال زعيمه عبدالله أوجلان، ذلك لأن الحزب تطرف أكثر من المعقول في اثارة الدعاية وابراز مظاهر القوة والعنف داخل الوطن وخارجه الى حد انه اصبح الحاضر شبه اليومي في الصحافة الاوروبية ولكن على الاغلب بوجه سلبي وصورة غريبة الاطوار.

واليوم وبعد (١٥) عاماً من العمل العسكري وفي اعقاب جبل من الضحايا فاق تعدادها الـ٣٠ الفاً يبدو وكان الحزب كان فعلاً "عاصفة في فنجان" وتكتلاً مظهرياً خاوي الوفاض عديم الرؤية الموضوعية للامور متصدع الهيكل الى الحد الذي عجز عن تحمل اثر الصدمة الاولى.

واذ يمكن فهم أو تقبل التغييرات التدريجية السياسية للمواقف الفكرية التي تعلل عادة بإختلاف الظروف ومتغيرات المرحلة وتسخن على نار هادئة، فان من الصعب استيعاب التغير الكلي الفجائي واللامحدود في سياسة حزب ملأ الدنيا غباراً كثيفاً واذا به بعد انفضاض الغبار مجرد نمر من ورق.

في المؤتمر السابع المنعقد في الفترة ٣-٢٠٠٠/١/٢٣ بحضور (٣٨٦) مندوباً، حكم الحزب على نفسه وشعاراته بالانحلال أملاً في إنقاذ زعيمه من حبل المشنقة دونما إلتفات الى القضية التي ظل يزعم انه ممثلها الوحيد، وهذه عينات من اوراق ومقررات المؤتمر الذي ادير بطريقة (الريموت كونترول) من قبل أوجلان.

١- دعا المؤتمر الى تحويل حزب العمال الكوردستاني الى حزب سياسي بحت والتخلي نهائياً عن خيار الكفاح المسلح والعمل من اجل تركيا ديموقراطية. ولاشك أن هذا الخيار كان متاحاً قبل اعوام، وكان الجسم السياسي الكوردي في تركيا يتطلع الى أن تصغي قيادة حزب العمال الى صوت العقل ولاتغرد خارج السرب، وتتحرك بآليات نضالية متناغمة وروح العصر ومتغيراته لاجتذاب الجمهور الكوردي والتعاطف الاوروبي بدل حصاد المنع على الساحة الاوروبية منذ عام ١٩٩٣، ولو كان أوجلان جنح حينها للخيار السياسي فربما كان سيلقى اذاناً صاغية ولكن من سيسمعه ويصدقه إذ يفرد الآن جناحيه البيضاوين كحمامة السلام، وهو يقبع في السجن، ألا يرى أن دعوته جاءت بعد فوات الأوان؟

٢- ألغى الحزب كلمة "كوردستان" من إسمه ومن تسميات كافة تنظيمات الواجهة العاملة تحت سيطرته، فجناحه العسكري المسمى "جيش التحرير الشعبي الكوردستاني" اصبح "قوة الدفاع الشعبي" و"جبهة التحرير القومي الكوردستاني" اطلقت عليها تسمية "القوات الشعبية الديمقراطية".

٣- بنيوياً الغى المؤتمر كل السياقات التنظيمية الهيكلية التي كانت تحكم حياة الحزب الداخلي وكرمز لهذا التغيير من تكتل ايديولوجي ستاليني البنية الى حركة سياسية منشرحة تنظيمياً، بادر مؤتمر الحزب الى إلغاء المطرقة والمنجل من علمه.

٤- شعار إستقلال كوردستان الذي ظل الحزب يحمله ويتفاخر به ويحكم اعتباطياً بالخيانة على كل فصيل كوردي يدعو لاقل من الإستقلال، تقزم في المؤتمر ليصبح السقف المطلبي للحزب منحصراً في الحقوق الثقافية الديمقراطية للكورد ضمن جمهورية ديموقراطية، وارفق هذا الشعار باصدار خطة سلام ونداء للحكومة التركية لتخطو خطوات شجاعة باتجاه الوفاق السياسي، وتناسى الحزب انه انهى دوره بنفسه كمحاور ومفاوض واقحم كل جسمه السياسي في زنزانة فكرية طوعاً في محاولة مفضوحة لشخصنة القضية الكوردية وربطها بحياة شخص أوجلان.

الامر الواضح أن الحزب إذ هدم نفسه طمعاً في إلتماس الرحمة والرأفة بزعيمه، فانه في واقع الحال ضيّع ذاته ودفن القضية الكوردية دون أن يحصل حتى على قناعة وتفهم الآخرين. لقد دفع الكورد ثمنا باهضا نتيجة مغامرات قيادة حزب العمال المراهقة حين كانت ناشطة على الارض، وها هو الشعب الكوردي يدفع ثمناً لايقل فداحة، نتيجة الاستسلام المخجل لرجل لم يعد همه بعد عام من الإعتقال سوى نظارته الشمسية كما وصفه الكاتب الألماني (توماس زيبرت Thomas Seibert) في صحيفة (Berliner Mor-gen) يوم ٢٠٠٠/٢/١٤ في مقال بعنوان (أوجلان عاشق الحياة).

لقد اسقط الكورد قيادة ونهج حزب العمال الكوردستاني من حساباتهم، هذا الحزب الذي يقف على حافة الهاوية مثخناً بجراح الانشقاق والصراعات والتناحرات الداخلية،

ولكنهم -اي الكورد- ومعهم الكثير من الاوساط الاوروبية يعلقون الآمال على التطور الذي حصل قبل عام ابان الإنتخابات البلدية التركية، حيث حقق (الحزب الديمقراطي الشعبي) الموالي للمطالب الكوردية، فوزاً ساحقاً في جنوب شرقي تركيا الآهل بالسكان الكورد، وحاز في إنتخابات ديمقراطية على رئاسة بلديات (٣٨) مدينة وقصبة بينها مدينة (دياربكر).

إننا نعتقد أن السياسة التركية ستنجز منعطفاً جيداً وايجابياً اذا احترمت هذه النتيجة التي احرزتها اللعبة الديمقراطية وربما ستكون بوابتها المستقبلية لحل المعضلة الكوردية وضمان دخول الاسرة الاوروبية ذات المعايير الثابتة بصدد الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبذلك تكون الدولة التركية قد ربحت داخلياً وخارجياً.

***

لابكاء على الأطلال

جريدة الزمان ٢٠٠٠/٣/٢٤

لأنها كانت جريمة من طراز خاص وسابقة اسست لحالة جديدة غير مسبوقة من الحقد الاعمى الذي لايحصد الأرواح فحسب، بل ومعها كل مشاعر المودة وروحية التواصل الإنساني، لذلك كلما مر عام على ذلك اليوم الربيعي في ١٦ آذار (مارس) عام ١٩٨٨ حيث هطلت السموم السوداء على مدينة حلبچة الكوردية يقف كل سكان الإقليم خمس دقائق حداداً على أرواح ضحايا هذا الفعل الشنيع الذي ادخل حلبچة الى الموقع التاريخي الذي تقف فيه مع (هيروشيما) و(ناجازاكي).

في ٢٠٠٠/٣/١٥ خصص المجلس الوطني الكوردستاني جلسته لاستعراض هذه الفاجعة وتجاوز مجرد الذكرى والبكاء على الأطلال الى تدشين خطة لإبقاء الحدث ومغزاه ودلالاته حية في الاذهان ومعالجة آثاره. وقد تحدث ذوي الضحايا واطفالهم وتحدث عدد من أعضاء البرلمان الكوردي واحدهم فقد ١٨ من افراد عائلته اثناء القصف الكيمياوي، واكد المتحدثون أن الجريمة وبعد ١٢ عاماً من ارتكابها مازالت مستمرة فالامراض منتشرة بين الجيل الثاني وآثار التسمم تتراكم مضاعفاتها على الاطفال كما تؤكد التقارير الطبية العالمية، لذا من المهم الإستمرار في التواصل مع المؤسسات الحقوقية والصحية العالمية وتزويدها بالتقارير الدورية. والعمل على انشاء متحف خاص يضم كل آثار وبقايا ومتعلقات الجريمة وكل ما كتب عنها من ابحاث ومقالات وتقارير، لاسيّما وان مؤتمرات عقدت بهذا الخصوص في لندن وبرلين وسويسرا.

واستحداث مؤسسة لمعالجة الاطفال والمعوقين بفعل السموم الكيمياوية، والإستمرار في الدعوة الى مؤتمر عالمي يقر المطلب الكوردي بجعل ٣/١٦ يوماً عالمياً لمنع إستخدام الاسلحة الكيمياوية الفتاكة.

وفي كلمته بالمناسبة ذكر مسعود البارزاني: "اتطلع أن تتحول حلبچة الكوردية الى درس وعبرة لكي لاتتكرر فاجعة شبيهة في اية بقعة من العالم". فهل ستنعم هذه المدينة الوديعة يوماً بالهدوء والشفاء من آثار واحدة من اكبر جرائم الإبادة البشرية بعد (هيروشيما) و(ناجازكي) كما كتبت ذات يوم جريدة (لوفيگارو) الفرنسية؟ ربما كان بقاؤها حية تطرق ضمير العالم أحد أسباب العزاء لمدينة احتضنت صفوة شعراء الكورد وادبائهم مثل (مولوي) و(نالي) و(گوران) و(احمد مختار جاف)... وهي اليوم قصيدة متخمة بالجراح في ذاكرة الإنسانية.

***

تسييس الدين فائض الإنعطاف نحو التطبيع

الزمان ٢٠٠٠/٣/٢٩

كانت الإعترافات التي ادلى بها المتهمون الاصوليون الكورد صريحة وواضحة الى الحد الذي ازاحت كل التكهنات الإحتمالية جانباً حيث وضعت كل النقاط على الحروف واكدت ما كان يراود اوساط الرأي العام في الإقليم الكوردي العراقي.

فالتفجيرات، والأهداف المستهدفة، والباعث لم يكن امراً طارئاً بل مخططاً باتقان، والعمليات الإرهابية لم تكن حالات فردية، بل افرازاً لعمل منظم يتوجه لبلورة تهديد جدي آخر ضد التجربة الكوردية، تؤكد مصادر القرار في الإقليم ذلك بعد تحقيقات معمقة مازالت جارية لأن عدد المعتقلين يفوق العدد الذي ادلى بإعترافات.

صرح مصدر مسؤول في الحزب الديمقراطي الكوردستاني بأن هذه الأعمال تصب في مجرى اشاعة الفوضى وتخريب البنيان السياسي والإقتصادي والإجتماعي الذي تواصل الحكومة الإقليمية بناءه في اجواء الإستقرار السياسي والطمأنينة وسيادة القانون. واضاف المصدر:"لقد نجحنا سابقاً في منع جعل الإقليم طريقاً آمنا لمرور المخدرات من مصادرها الى أوروپا واجهزنا بوسائلنا البدائية وبدون تقنية متطورة على هذه الظاهرة الخطيرة على مجتمعنا، ونحن واثقون اننا سنستطيع السيطرة على زمام الامور وكبح جماح الإرهاب الاصولي المتطرف تدريجياً".

محاكمات عادلة

ان الآراء في كوردستان العراق تُجمع على ضرورة تلمس طريق المحاكمات العادلة وضمان حق الدفاع للمتـهمين وعدم الإنجرار الى المطلب الذي ينشده الإرهابيون وهو تضييق الحالة الديمقراطية ليعلقوا بعد ذلك كل تجاوزاتهم اللاحقة على مشجب الزعم بإنعدام الديمقراطية.

فالأحزاب الإسلامية المجازة وفق القانون رقم (١٧) الصادر عام **١٩٩٣** عن المجلس الوطني الكوردستاني ستبقى قائمة وفق الشروط القانونية التي ينص احدها على أن يحقق الحزب "أهدافه بالوسائل السلمية الديمقراطية والايمان بتداول السلطة دون اللجوء الى العنف والإرهاب والإغراء".

وراء الازدهار

وحزب الوحدة الإسلامية الذي انبثق من اندماج الحركة الإسلامية في كوردستان العراق مع تنظيم اسلامي هامشي صغير هو حزب النهضة الإسلامية، هي الجهة التي اكد المتهمون في إعترافاتهم إنتماءهم اليه أو قربهم منه، وهو مطالب ببيان رأيه وادانة هذه العناصر وغسل ايديه منهم بدل الركون الى النفي والطرق الالتوائية لأن ذلك سيفضي بالتأكيد الى تآكل رصيده ويجهز على امكانياته المستقبلية لتوسيع دوره في الحياة السياسية في الإقليم.

ان الطبقة السياسية والفكرية في الإقليم تواصل بكافة الوسائل المتاحة التعبير عن اشمئزازها من ظاهرة التطرف الاصولي المصدرة الى الإقليم والتي لاتجد لها جذراً في تاريخ الحركة التحررية الكوردية التي كانت دوماً تتمتع بخطاب ايديولوجيي تحرري ديمقراطي وطني منسجم مع شروط العصر وقادر على استيعاب كافة التلاوين الفكرية والإجتماعية لصالح التحرر والغاء الغبن التاريخي اللاحق بالشعب الكوردي، وكانت على مدى تاريخها على وفاق ووئام وتفاهم وتفهم مع الدين الإسلامي الحنيف.

بل انها وظفت كل ما في الشريعة الإسلامية السمحاء من قيم ومبادئ العدالة والانصاف في خطابها الدفاعي ضد واحدة من ابشع حروب الإبادة العنصرية التي ارتكبت على مدى عقود ضد شعب كوردستان، الى حد افضى الى تاخر بروز الأحزاب الإسلامية الكوردية لغاية أواخر الثمانينات وبداية التسعينات حيث اخرجتها من حالتها الجنينية تداعيات حرب الخليج الثانية والانتفاضة حيث تأسس واقع ديمقراطي تعددي في ظل الإدارة الإقليمية الكوردية.

فهذه الأحزاب هي اصلا افراز للديمقراطية والتجربة الكوردية، ولم تكن تاريخياً ضمن القوى التي حملت لواء النضال التحرري الكوردي، وهذا يؤكد مدى تناغم الحركة التحررية الكوردية مع المحتوى التقدمي التنويري للدين الى حد لم تبرز الحاجة لتكوين ايديولوجي كوردي اسلامي.

اننا نعتقد أن الإسلام السياسي الكوردي لكي يبقى فاعلاً وناشطاً لابد أن ينضم الى كل القوى والشرائح الحريصة على صيانة التجربة الكوردية وحكم القانون وضمن هذا السياق فان الجسم الإسلامي في كوردستان العراق عليه أن يحدد آراءه بوضوح ودون تفسيرات تاويلية بصدد الموقف من السلطة الكوردية والمنطلق الذي ينظر من خلاله لحل القضية الكوردية والموقف من الديمقراطية كخيار تلتزمه الإدارة الكوردية للحكم، كما وعليه بلورة صيغة حضارية لدور المرأة في المجتمع الكوردستاني.

بالضد من إتجاه العصر

وبقدر ما تكون الاجابات حول هذه المحاور وافية ومرنة ومنسجمة مع واقع العصر ومع الجذور الفكرية التي نشأت عليها شعارات الحركة التحررية الكوردية فان الإسلام السياسي الكوردي سيحقق هامشاً مناسباً من الشعبية والرصيد الإعتباري.

أما إذا اتجه هذا التيار السياسي الى تخريجات اصولية فقهية واجتهادية غريبة على الواقع الكوردي وخصوصية تجربته فسيكون بذلك قد همش دوره عمداً، واهال التراب على دوره المستقبلي، وخرج عن سياقات التطور اللاحق للقضية القومية الكوردية، لاسيّما وان هذه القضية الشائكة تنمو في حاضنة ومناخ يختلف كلياً عن واقع غالبية الشعوب الإسلامية الأخرى بحكم كون أهدافها مازالت في اطار السعي للتحقيق ولم تبلغ بعد شاطئ النجاح الناجز رغم الواقع السيادي الذي يتمع به كورد العراق منذ عام ١٩٩٢.

لقد كانت كوردستان على مدى التاريخ بلد التعايش والتعددية القومية والدينية والتسامح ولانستطيع القبول ببدع يبتدعها البعض ولايمكن القبول بالحالات المصطنعة في كوردستان.

وهذا هو بالذات النهج الذي سبق أن سار عليه البارزاني الراحل طيلة نصف قرن من النضال التحرري الكوردي، وربما كان السؤال المحوري الذي ينبغي أن يطرح على الإسلام السياسي في كوردستان هو ما اورده الكاتب علي رضا في كتابه الجاد الصادر في تشرين الثاني (نوڤمبر) ١٩٩٩ باللغة الكوردية بعنوان "آراء للحوار حول الإسلام السياسي"، حيث يقول بحق "هل الإسلام السياسي في كوردستان سينحاز الى متطلبات

العمل الإسلامي على صعيد العالم الاسلامي، ام الى موجبات ومتطلبات وشروط العمل الوطني الكوردستاني في حالة حصول تناقض بينهما".

شاهد على تجاهل القضية

وهذا التناقض امر وارد ومطروح وهو مرتبط بالإختلاف بين كيانات الدول الإسلامية بكل ما لها من مصالح وإعتبارات وكيانات الحركات التحررية ومنها الحركة الكوردية بخصوصياتها الواضحة.

وكان مؤتمر القمة الإسلامية الثامن المنعقد في (طهران) عام ١٩٩٧ شاهداً على هذه الحقيقة فقد صدر عنه ١٤٢ قراراً لم يشر اي منها الى المعضلة القومية الكوردية... وتجربته في الإدارة الإقليمية في كوردستان العراق.

***

البارزاني ورفاقه

الحياة

إشارةً الى المقال المنشور في "الحياة" يوم ٢٠/٤/٢٠٠٠ تحت عنوان "البارزاني ورفاقه يعودون الى العراق بعد سقوط مهاباد" بقلم ابراهيم العريس، نود أن نصحح معلومة كاتب المقال، فالبارزاني وبعد انهيار جمهورية "مهاباد" في كوردستان إيران، وتلاشي الحكم الكوردي ولو مؤقتاً في السيادة على ارضه، لم يعد الى العراق كما يسجل كاتب المقال، بل فضل هو ورجاله الاشداء المضي في رفع لواء المقاومة والاستماتة في الدفاع عن مدينة (مهاباد) لرفع معنويات الشعب الكوردي.

ولكن في ظل موازين القوى السائدة آنذاك وتردي الظروف الحياتية للمقاتلين وفي اعقاب إنحسار التأييد الدولي لجمهورية (مهاباد) الكوردية لم يكن أمام البارزاني- وهو الذي عرف بالامتناع عن الإستسلام للأعداء- سوى البدء بتدشين مسيرة ثورية رائدة في التاريخ الكوردي سميت بحق مسيرة الشرف البارزانية التي استمرت (٥٢) يوماً على طول المثلث الحدودي العراقي- التركي- الإيراني تخللتها مناوشات ومطاردات منسقة من الدول الثلاث المقتسمة لكوردستان، ليصل بعدها عام ١٩٤٧ الى نهر (آراس) ويعبره الى البر السوفياتي حيث منح هو ورجاله الـ(٥٠٠) خمسمائة وهم صفوة المقاتلين اللجوء السياسي. وبقي البارزاني هناك رمزاً للمقاومة الصبورة الحبلى بالآمال في ذاكرة الشعب الكوردي، ولم يعد الى العراق الا بعد انتصار ثورة ١٤ تموز

عام ١٩٥٨، بعد أن التقى في طريق العودة الزعيم العربي جمال عبدالناصر، وفي العراق استقبل البارزاني الراحل إستقبال الابطال من قبل الشعب العراقي بكل فئاته. اما الذين عادوا مباشرة بعد سقوط جمهورية "مهاباد" الى العراق فهم الضباط الاربعة أعضاء لجنة الحرية المرافقين للبارزاني والذين اعدموا فيما بعد على ايدي السلطات العراقية وعاد حينها الى العراق ايضاً الشيخ أحمد البارزاني شقيق مصطفى البارزاني مع العوائل البارزانية.

وفي خطأ فادح يضم الكاتب الكورد الى مايسميها بـ"الاقليات" التي لعبت حسب زعمه خلال الحرب العالمية الثانية دور مخلب القط للدول الكبرى، ناسياً أن الحلم الكوردي الذي يشير اليه الكاتب مراراً في مقاله هو حلم وتطلع مشروع ومنطقي وواقعي، فالكورد ليسوا طارئين على المنطقة، بل لهم جذورهم العريقة في ارضهم ولهم خصوصيتهم التي لايرقى اليها الشك، وهم حين يناضلون فان ذلك نابع من قرارهم المستقل في العيش بسلام وامان وحرية على ارض الاباء والاجداد اسوة بكل شعوب العالم.

***

الكورد والبحث عن الهوية

القدس العربي ٢٩/٤/٢٠٠٠

بإعتباري احد الحاضرين في المؤتمر العلمي- السياسي المهم الذي انعقد في العاصمة الأمريكية في ١٧ و١٨ /٤/٢٠٠٠ بدعوة من الجامعة الأمريكية في واشنطن وبالتنسيق مع مركز البارزاني للدراسات الكوردية تحت عنوان "الكورد والبحث عن الهوية".

وبما اني سمعت كل كلمة قيلت طوال يومي المؤتمر لذا اجزم أن هذه الحلقة الدراسية بمحاورها الاربعة وهي نظرة شمولية الى الكورد ومواقف الدول الإقليمية والأوروبية وأمريكا وروسيا من الكورد، والكورد في العراق في ظل التجربة الفدرالية والديمقراطية، والقضية الكوردية في تركيا وإيران، انما شكلت تظاهرة ايجابية الى ابعد الحدود للإعتراف الكامل غير المنقوص بالهوية الكوردية وبخصوصية الشعب الكوردي تاريخياً وثقافياً وهذه الهوية المستقلة هي العلة التي تبنى عليها حقيقة سياسية وحقوقية هي الاعترف بالطموحات القومية الكوردية وفق مبدأ حق تقرير المصير.

أسوق هذه التوطئة لأن "القدس العربي" اذ اصابت بنشر نص كلمة "فرانك

ريچاردوني" الى المؤتمر في عدد ٢٢ و٢٣/٤/٢٠٠٠ فانها اخطأت بان سجلت بالعنوان الاسود العريض أن أمريكا ترفض الإعتراف بالهوية المستقلة للكورد وهذا ماأثار غبار التساؤل لدى القراء الكورد والمهتمين بنتائج هذا المؤتمر الحيوي.

فالهوية مفهوم اثنوغرافي وإجتماعي ولغوي ولايمكن لاحد أن ينكر هذه الصفة الثابتة للكورد وكانت كل ابحاث المؤتمر بما فيها كلمة ريچاردوني مخصصة لتأطير الهوية الكوردية والاتيان بالمزيد من البراهين والدلالات والمسوغات على عراقتها وتجذرها واحقيتها في الوجود والتنامي وضرورة تدشين مرحلة جديدة ومتميزة الآليات للدفاع عنها ومنع تشويهها أو التنكر لها، ولكن الصحيح وهذا ما أوردته "القدس العربي" في المانشيت ذاته إن أمريكا لاتستطيع إقامة دولة كوردية على الأقل مرحلياً وليس في هذا الامر عجب فالشعب الكوردي في العراق قد حدد سقف مطلبه بالفدرالية وفق قرار البرلمان الكوردستاني عام ١٩٩٢ .

ويواظب الشعب الكوردي في العراق بادارته الإقليمية ونخبه السياسية وفعالياته الفكرية على تعميق نهج الآصرة الأخوية بين الشعبين العربي والكوردي. ولعل تأسيس جمعية الصداقة الكوردية-العربية في العاصمة (أربيل) يوم ٢٤/٣/٢٠٠٠ التي تضم نخبة من خيرة مثقفي كوردستان العراق، وقبل ذلك انبثاق جمعية الصداقة الكوردية-الفلسطينية في (رام الله) وجمعية الأخاء الكوردي-العربي في الاردن، كلها ادلة ذات مغزى عميق على أن الشعب الكوردي في العراق يخطو حثيثاً في الطريق الصحيح الذي يؤكد على الهوية الكوردية المستقلة، وفي الوقت ذاته يؤطر طموحه السياسي المشروع ضمن العراق المستقبلي الديمقراطي التعددي الفدرالي وكانت كلمة نيچيرڤان البارزاني رئيس حكومة اقليم كوردستان في المؤتمر واضحة الى ابعد الحدود في التأكيد على هذا المفصل الحيوي الذي يشكل بوصلة النضال التحرري الكوردي في كوردستان العراق.

إن الهوية الكوردية قد اصبحت على بوابات الالفية الثالثة شجرة باسقة خضراء وارفة الاغصان تتنامى وتأخذ نسغها من اعماق التاريخ ومن حقيقة الوجود الكوردي المتجذر على ارض كوردستان منذ آلاف السنين، اما السقف المطلبي والطموح السياسي فهو امر يقرره الشعب الكوردي بقراره المستقل وبما ينعش وشائج الأخوة مع شعوب دول الجوار وبشكل يدفع ملف حقوق الإنسان والديمقراطية فيها الى مواقع متقدمة وحضارية كحاضنة للحقوق القومية المشروعة. واذ لاتتجزأ الحقيقة العلمية، بل تؤخذ كاملة أو ترفض كاملة، فان الحرية هي الأخرى كحقيقة سياسية لاتقبل التجزئة والانتقائية.

بقلم: فوزي اتروشي

على ضوء مؤتمر الكورد والبحث عن الهوية
أمريكا اقتربت أكثر من الشأن الكوردي

الزمان ٥/٥/٢٠٠٠

إن احدى دعائم التفكير السياسي السليم والمتناغم مع بوصلة حركة الحياة وديناميكيتها، هي رفض التعلق غير المشروط باطلال الماضي، وعدم التضحية بالفرص الراهنة على اديم الواقع وبإحتمالات المستقبل من خلال الاستشهاد المستمر بحوادث حصلت قبل عقود من الزمن، رغم الأهمية القصوى لاستخلاص الدرس منها ودراستها لمنع حدوثها مرة أخرى، ورغم أن الضمانات في السياسة تتضاءل الى حد التلاشي. والموقف الأمريكي من الكورد عام ١٩٧٥ هو من الاحداث التي ظلت تحتفظ بطراوتها في الذاكرة الكوردية.

كان البارزاني الراحل منصفاً حين انتقد السياسة الأمريكية وبالذات انتهازية كيسنجر في التعامل مع القضية الكوردية حينها حيث صفيت ولو مؤقتاً على مذبحة إتفاقية ٦ أذار (مارس) ١٩٧٥، والواقع أن كيسنجر نفسه كشف الغطاء وازاح الستارة عن خلفية موقفه حين قال مؤخرا في مذكراته انه -اي البارزاني الراحل- كان لايفرق بين عمل القديسين والعمليات السرية في اشارة واضحة وبالغة الدلالة انه واجه اخلاقية البارزاني وصدقه في التعامل، بسياسة ميكافيلية اعتبرت القضية الكوردية حينها مجرد ورقة ما أن تستنفد اغراضها حتى ترمى على قارعة الطريق.

ولكن -وهذا بيت القصيد- السياسة الأمريكية ليست مجموعة من قوالب جاهزة ومحنطة وليست ملفات محكمة الاغلاق على رفوق البيت الأبيض، كما انها غير محكومة الا بأقل قدر من الثوابت، والتغيير فيها متناسق مع تغير المصلحة الأمريكية وكيفية اصطفاف القوى على الخارطة السياسة للعالم، وأولويات الدولة العظمى الوحيدة حالياً بعد انهيار القطبية الثنائية.

والسؤال الكبير هنا هل يجوز أن يفرط الكورد بفرصة تاريخية تهيأت لهم بعد عام ١٩٩١ واثر تداعيات حرب الخليج الثانية، والتي دشنت اقتحام الشأن الكوردي لدائرة الضوء الأمريكية من خلال حضور القضية الكوردية القوي وعلى مدى أشهر في منابر الإعلام العالمي في وقت حولت اطباق الإستقبال العالم الى قرية كونية. هل يبيح المنطق السياسي الناجح والذي من مفرداته قراءة الواقع تفصيلياً للنخب السياسية الكوردية أن تتجاهل التطور في السياسة الأمريكية لمجرد انها تخلت عن الكورد قبل أكثر من ربع

قرن وهو سقف زمني شهد قسطاً هائلاً من التغيرات الإنعطافية، فالعالم فقد احد قطبيه وخفت بريق الآيديولوجيات الشمولية، وانحلت دول واستحدثت دول جديدة، والعولمة اجتاحت كل جوانب الحياة، والديمقراطية وموضوع حقوق الإنسان غدتا محكاً لتقرير مدى صلاحية هذا النظام أو ذاك بعيداً عن التخريجات التي فسرت الديمقراطية بشكل رغبوي ونزعوي، والتقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية ربطت أقاليم العالم باوثق الوشائج وأكثرها رخصاً ومرونة وانسيابية، وجرى تقنين مبدأ التدخل الإنساني وربط مبدأ سيادة الدولة بمدى إحترامها للحقوق الطبيعية لمواطنيها.

أمام هذا الواقع الصارخ بمظاهره وتجلياته لايجوز لبعض الأقلام الكوردية أن تبقى نائمة على وسادة الماضي ومنتحبة وباكية على خرائبه وواقفة على انقاضه في وقت بلغ التغيير الزئبقي لمعطيات الحاضر وتوظيفه واستثماره للواقع الجديد للحركة الكوردية في كوردستان العراق بعد صدور القرار ٦٨٨ واستحداث المنطقة الآمنة وانبثاق البرلمان الكوردستاني الحر والإرادة الإقليمية الكوردية.

فالسياسة الأمريكية هي التي توفر الحماية الدولية للكورد وفق الشرعية الدولية منذ عام ١٩٩١ وأمريكا هي الدولة التي رعت مراراً عملية المصالحة الكوردية، وحاولت تقزيم التدخلات الإقليمية وكفت يد النظام في العراق عن الإستمرار في ابشع حرب عنصرية ضد الكورد، وتوسطت في ١٩٩٨/٩/١٧ لابرام إتفاقية سلام بين الحزبين الكورديين العراقيين الكبيرين ووقعت عليها كشاهد، وهي الإتفاقية التي صمدت لغاية الآن وعززت أوتاد البناء السلمي في الإقليم الكوردي العراقي.

أما إختيار واشنطن مكاناً لإنعقاد مؤتمر دولي لهم حول الهوية الكوردية في كافة أجزاء كوردستان والذي نظمته الجامعة الأمريكية في واشنطن بالتنسيق مع مركز البارزاني للدراسات الكوردية فهو تطور سيحفر في الأرض اثره لجهة التوجه الأمريكي ليس في كوردستان العراق فحسب، بل وحيثما تواجد الشعب الكوردي المغلوب على أمره لقد واجه مؤتمر الهوية الكوردية الذي شاركنا في أعماله تحفظاً من قوى اقليمية وكانت محاوره مزيجاً متفوقاً ومتميزاً من العلم والسياسة، فالإعتراف بالهوية الكوردية وبخصوصية القومية الكوردية - وهذا محور ما توصل اليه المؤتمر - أدى بالضرورة الى الإعتراف بالحقوق السياسية للشعب الكوردي، أسوة ببقية شعوب العالم.

وكانت كلمات فرانك ريتچاردوني وبقية الأكاديميين والمسؤولين الأمريكان والأوروبيين والعرب والكورد كما المياه التي تتخذ لها روافد مستقلة المجرى ومتنوعة الاتجاهات ولكنها في النهاية تعرج لتصب في نهر واحد.

والواقع أن الـ(٢٥٠) مشاركاً شكلوا خلال المؤتمر يومي ١٧-٢٠٠٠/٤/١٨ تظاهرة تضامن وانتصار للهوية الكوردية وللحقوق الكوردية، ويعتبر انعقاد المؤتمر بمحاوره الساخنة وجدول أعماله الفائق الحساسية، في أكبر دولة في العالم وبرضا أوساطها السياسية والأكاديمية نصراً للقضية الكوردية وعاملاً اضافياً لبناء اواصر وصداقات جديدة للشعب الكوردي ضن الشبكة الإعلامية والسياسية والأكاديمية، وبين أوساط المجتمع الأمريكي الذي نعتقد أن أي قضية قومية أخرى في العالم تتمنى ذلك لكي تبقى معرفة ومدعومة من قبله.

من ميزات مؤتمر "الكورد والبحث عن الهوية" انه كان مفتوحاً على حقائق التاريخ والجغرافيا، كما هي، لا كما تريدها الدول المقتسمة لكوردستان، وبحث فيه الشعب الكوردي ووطنه ككل ولم يؤخذ كأجزاء، فكانت محاوره كافية لتغطية مجمل جوانب القضية الكوردية القومية، وهذا أمر حيوي وخطوة ناجحة لابد أن تتلوها خطوات تكميلية لكي يتعافى المشهد فيما يخص الشان الكوردي.

وقبل أن ينهض من يخطيء فهمنا فيذهب مذاهب شتى في تفسير كلامنا على هواه نقول لا شك أن معيار التحرك الأمريكي الراهن كما في السابق هي المصلحة، ولكن اليست كل دول العالم تنظر الى خلف حدودها بذات المعيار؟ هل ثمة دولة واحدة تشذ عن هذه القاعدة؟ اما كون الموقف الأمريكي له تقديرات خاصة فيما يخص الشعارات السياسية الكوردية وطريقة رؤية مبدأ حق تقرير المصير وتطمين الحقوق الكوردية في الدول التي يتواجد فيها الشعب الكوردي، فانه هو الآخر أمر طبيعي فحتى الأحزاب السياسية الكوردية متباينة فيما بينها ويتراوح سقفها المطلبي بين الفيديرالية والحكم الذاتي والحقوق الثقافية. وذلك حسب التطور السياسي لأجزاء كوردستان.

ختاماً فان عصارة ما نود أن نقوله أن مؤتمر "الكورد والبحث عن هوية" اشارة الى اقتراب السياسية الأمريكية من الشأن الكوردي، وليس مؤشراً على تخلي أمريكا عن الكورد كما ذهبت أقلام قليلة لم تتوفر على ما يبدو على مخزون معلوماتي ناضج عن المؤتمر لذا قلبته رأساً على عقب.

***

كتاب جديد : الدولة الكوردية قادمة

الزمان ١٥/٥/٢٠٠٠

القضية الكوردية في منظار الدول المقتسمة لكوردستان مازالت في الغالب الأعم – برغم بعض بوادر التغيير والتطور– بمثابة الهاجس الأمني الخطر والمستحكم والدائم. فهي – القضية الكوردية – داخلة، بل وطاغية على أجندة أولويات هذه الدول كملف أمني، وليس كقضية نضال تحرري عادلة ومنسجمة تمام الإنسجام مع منطق العصر وفروض الواقع، وهي بنظرها مكمن الخطر، لأنها قد تغير الخرائط كإحتمال، ولانها بالتأكيد تعيد غربلة عموم ملفي الديمقراطية وحقوق الإنسان في المنطقة.

القضية الكوردية مستحكمة لأنها داخلة في العمق والجذور وليست طارئة، منذ التقسيم الأول للامارات الكوردية في معركة (چالديران) عام ١٥١٤م بين الامبراطوريتين العثمانية والصفوية ومروراً بكل عناوين الثورة والانتفاض والبؤس والمحن التي تعمقت أكثر كجرح محفور في الضمير العالمي.

لنقف عند لفتات كتاب رمضان عرابي الصادر مؤخراً بعنوان "هل الكورد قادمون؟" في ٢٥٥ صفحة، الذي يقر بعد دراسة مضنية وموضوعية وموثقة أن "القضية الكوردية تتسم بقدر كبير من التعقيد والتشابك حيث تتداخل فيها الابعاد السياسية والعرقية" فهو يسجل بحق إن: "الشعب الكوردي هو أكبر شعب على وجه الأرض بلا دولة... وهو من أكثر الشعوب قهراً وإضطهاداً وتعذيباً"، ولذا يعرج الكاتب على بني جلدته ليعلن: "إن كل مواطن عربي مطالب بأن يتفهم القضية الكوردية ويشارك الشعب الكوردي آلامه وآماله فالحوار العربي–الكوردي يفتح آفاقاً جديدة".

يتوزع الكتاب على أربعة أبواب، يبحث الأول في أصل الشعب الكوردي والنظريات المختلفة بهذا الصدد، وجغرافية كوردستان ويتضمن معلومات ديموغرافية ولغوية، والثاني يستعرض العصور التاريخية لغاية الحرب العالمية الأولى وإتفاقيتي "سيڤر" و"لوزان" وتقسيم كوردستان بالشكل الراهن.

أما الباب الثالث فيضم معلومات تفصيلية عن العمل السياسي والعسكري الوطني الكوردي في العراق وتركيا وإيران، ويقدم حصيلة غزيرة بالمادة التاريخية عن الثورات والانتفاضات الكوردية لغاية الإنعطاف التغييري الجذري في اعقاب حرب الخليج الثانية. أما الباب الرابع فهو الأهم بنظرنا لأنه يحتوي على نظرة تفصيلية تحليلية دقيقة تزداد اثارة وأهمية.

في الفصل الثالث والأخير من الباب نفسه والمعنون "الكورد والمستقبل". في هذا الفصل يقدم الكاتب وبالادلة والتحليل إستنتاجاً مفاده "ان إحتمال الدولة الكوردية يبقى قائماً حتى ولو بنسب مختلفة بين المراقبين... الا انه وارد في اقرب انفجار بمنطقة سمتها التوتر بين الحين والآخر". ويرى المؤلف أن كوردستان العراق هي المرشحة لتكون مكان هذه الدولة نظراً لتطور الحركة السياسية الكوردية فيها، والوضع الخاص للدولة العراقية بعد تداعيات حرب الخليج الثانية، فالعراق في عزلة عربية ودولية وعاجز عن أية مشاركة فعالة للعمل على أو لمنع أي مخطط جديد في المنطقة، فهذه الدولة الكوردية، كما يؤكد رمضان عرابي لن تأتي مستقبلاً إلا من رحم العراق "لأن الوضع الكوردي في إيران وسوريا مستقر، وفي تركيا لم يصل داخلياً لأي مراحل الانفجار، والتحرك الكوردي في تركيا شبه حدودي عسكرياً ولم يصل العمق بدرجة تؤهله لحالة الولادة". ويستعرض الكاتب تكهنات واقعية حول كيفية التعامل المستقبلي للدول المجاورة مع الدولة الكوردية المستقبلية المرتقبة، فيرى –بحق– انها متفقة على اجهاض هذا المشروع، بل واستئصاله لو وقع، لأن كلاً من هذه الدول ترى في السيادة الكوردية في الإقليم الكوردي العراقي خطراً على مصالحها ومدعاة لاستنهاض كوردها.

ويرى الكاتب أن التيار القومي الكوردي في كوردستان العراق سيكون مسيطراً على مقاليد هذه الدولة مع دور هامشي للتيار الإسلامي، وهذا مايفضي به الى استخلاص ما مفاده أن الدولة الكوردية في العراق ستكون اقرب الى المصالح الغربية والأمريكية منه الى مصالح المحيط العربي الإسلامي، لذا يحبذ المؤلف سيطرة الإسلاميين على الكيان الكوردي المستقبلي المستقل، لأن ذلك برأيه "ليس خطراً على المسلمين بل سيوضع في موازين القوة الإسلامية".

وهنا يكون المؤلف قد أغفل أن الأوراق الكوردية ليست كلها بيد الكورد، بل وانها ليست بيد الدول الإقليمية نفسها، فحرب الخليج الثانية اثبتت ضمن افرازاتها أن اللاعبين الكبار أقرب الى المنطقة من حبل الوريد، لذلك فان توازن المصالح وديناميكية التيارات الكوردية المختلفة وتحصنها ومدى إنسجام هذا التيار الكوردي أو ذاك مع المصالح الحقيقية للشعب الكوردي هي وعوامل أخرى ستقرر من سيقود مقاليد السيطرة داخل المجتمع الكوردي والدولة الكوردية المرتقبة، ونعتقد أن أول إنتخابات حرة في العام ١٩٩٢ في كوردستان العراق قدمت بالادلة المادية جوابا على مسألة القيادة.

وعلى أية حال فإن التيار القومي الكوردي كان دائماً أقرب الى روح المنطقة وطابعها الإسلامي ولكنها المحنة الكوردية الدائمة والمتميزة التي جعلت الكورد ليسوا أيتام

العالم فحسب، بل وأيتام العالم الإسلامي قبل ذلك، وهذا ما شرحه بتفصيل د. جمال نَبَز في كتابه "المستضعفون الكورد واخوانهم المسلمون" الصادر عام ١٩٩٧ في لندن، وفيه خلاصة لآراء أغلب التيارات والأحزاب الإسلامية في الدول المجاورة وكيف انها أوّلت وفسرت الإسلام لكي يصبح مغرياً للكورد ومغنماً لدول الطوق الإقليمي، أن مؤلف كتاب "هل الكورد قادمون"؟ ذاته يسجل في الصفحة (٢٣٨) إن "الكورد لم ينالوا قسطاً كافياً من إهتمام المسلمين كما نال المسلمون المضطهدون في أماكن أخرى مثل الصومال أو البوسنة والهرسك وكشمير" ويعترف بحقيقة مرة هي أن لقضيتهم -اي الكورد- حساسية خاصة في دول الطوق المسلمة، اذن فجذر المسالة يعود الى استبعاد الكورد من الأجندة الإسلامية، واذا كان الأمر كذلك -وهو كذلك- فهل يركع الشعب الكوردي أم يبحث له عن بدائل تنقذه من حرب الإبادة العنصرية التي تشن عليه من قبل "اخوانه" المسلمين.

إن الحقوق الكوردية المنتزعة لغاية الآن جاءت بفعل قوى تحررية كوردية كانت دائماً على وفاق مع الإسلام وعلى النقيض من استغلال الدين للتنكيل بالشعب الكوردي وغمط حقوقه، فالشيخ سعيد پيران وسمكو شكاك والشيخ عبدالسلام البارزاني والشيخ محمود الحفيد والقاضي محمد والبارزاني الراحل الذي لعب أهم الادوار الريادية لصالح التطلعات الكوردية المشروعة، كانوا كلهم سليلي تراث قومي- وطني- ديني- تحرري استوعبوا كل ما في الدين الإسلامي من معاني الحرية والحق والانصاف ومقارعة الظلم، ولاشك أن المستقبل سيكون لنفس القوى التي تربط الدين بالحياة وبمصلحة الشعب.

ختاماً لايسعنا الا أن نشيد بهذا الكتاب القيم للسيد رمضان عرابي الذي شكل اضافة غنية للمكتبة العربية بخصوص القضية الكوردية، ففيه استشهاد واقعي وتسلسل تاريخي متواتر للمعلومات وتبويبها واستثمارها واستقرائها وصولاً لإستنتاجات مثيرة لمزيد من الأسئلة... ولكن ايضاً لمزيد من الاجوبة للمحاور الإشكالية. وكان المؤلف محقاً حين كتب في العبارة الأخيرة من الكتاب: "رغم أن تاريخ الكورد يشهد بأن تطور الأوضاع الدولية والإقليمية يتم دائماً على حسابهم الا أن الظروف الحالية والتحولات الإقليمية في ظل النظام العالمي الجديد تصب في اتجاههم، بل وتضع لهم دوراً جديداً في المنطقة... ولاسيّما كورد العراق فلن يتم السماح دولياً أو اقليمياً بإعادة أوضاعهم الى ما قبل حرب الخليج الثانية".

فالكورد اذن قادمون الى موكب العصر... ولكن يبقى أن يلتمسوا الوسائل الحضارية اللازمة لقدومهم.

من عقرة الى موسكو والقاهرة وبوخارست... ثم الى ذرى الجبال ميرحاج... خطوات كوردية في جميع الاتجاهات

الزمان ٢٠و٢١/٥/٢٠٠٠

لايكاد المرء يجد كوردياً في كوردستان العراق قرأ ولو لمحات من النصوص الحاملة لتفاصيل الثورة الكوردية، الا ويتذكر بكثير من الاعتزاز المشوب بالرومانسية والحنين ذلك اليتيم الذي ولد عام ١٩١١ في مدينة عقرة الكوردية التي تفترش الجبل وتستحم بالشمس، وتظل حبلى بموروث نضالي وثقافي يعطيها نفحة التمايز... انه ميرحاج الذي اكتحلت عيناه بنور الحياة حين "كانت لاتزال اصوات الاحذية الثقيلة للجندرمة العثمانية تصل الى المسامع... فما كان من هذا الطفل الا أن يغمض عينيه ليحلق بمخيلته الى حيث اللاسؤال".

إن المسافة بين العام ١٩١١ وبين مساء ١٩٨٨/١١/٩ حين غادر جسده النحيل الحياة في مدينة بغداد بعيداً عن مسقط رأسه، بعد أن زُرق بأبرة مخابراتية في المستشفى لرفضه امراً حكومياً بقبول حقيبة وزارية، بين هذين التاريخين وقف ميرحاج كالشجرة الباسقة الخضراء الزاخرة بالعناوين الواعدة والمحطات النضالية التي كان ميرحاج فيها دوماً الثوري النقي المضحي بالذات لأجل الآخرين ولخدمة القضية.

وفي كل مرة كنت أزور فيها كوردستان كانت ذاكرتي ترحل بعيداً للتعرف أكثر على رجال الرعيل الاول الذين التفوا في عناق ابدي مع البارزاني الراحل وأحد أبرزهم كان ميرحاج. لذلك كانت إلتفاتة مميزة أن انكب الكاتب الكوردي أميري فندي، على اصدار كتاب في (١٩٢) صفحة عن سيرته بعنوان "مير-الأمير" لكي لاتظل هذه الحياة المفعمة بالعطاء مجرد لمحات متناثرة في بطون الكتب. في الكتاب طرح جديد للسيرة بتوخي الأسلوب النثري الفني وإنعاش الجمل بنفحة إسترسال عاطفية تبتعد عن مجرد السرد التسلسلي التقريري للأحداث والتواريخ.

حين اكمل ميرحاج في العام ١٩٢٨ الثانوية في بغداد بتفوق دخل كلية الطيران، ولكن حلمه في التحليق عالياً تعثر حيث كاد يسقط بطائرته على الأرض، واختلف مع استاذه الهندي الأصل ليطرد بعد ذلك من الكلية، وكان تبريره الجميل لذلك الحادث أن "المعضلة لم تكن في الأزرار اللعينة... المعضل كان داخلي فأنا أمرّ الآن بمرحلة عاطفية حرجة" لقد كان ميرحاج حينها مفتوناً بجمال ابنة القائمقام التي كانت تصغره بعدة اعوام...

في ١٩٣٠ قرر الالتحاق باحدى المدارس الابتدائية في بغداد لكن حلم الدخول الى خندق القتال ظل يراوده دوماً فدخل في عام ١٩٣٢ الكلية العسكرية في بغداد وتخرج منها عام ١٩٣٥.

وما أن تأسس حزب "هيوا" (الأمل) في ١٩٣٩/٥/٢٧ حتى انضم اليه ميرحاج ليدشن بذلك حلمه الذي سيطول به المدى بين انحسار وإندفاع وجزر ومد، ففي ١٩٤٣ كان ميرحاج عضو الاتصال بين "هيوا" وبين الحركة الكوردية التي كانت تنتعش في كوردستان إيران، وحينذاك بدأت الحكومة المركزية في بغداد تنزعج من اتصالاته وحبه وتقديره الكبير الذي يبديه هذا الضابط للبارزانيين وللقائد مصطفى البارزاني الذي كان في حالة انتفاض ضد الحكومة عام ١٩٤٣-١٩٤٥، وكان أن اعتقل ميرحاج وأودع السجن في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤. ولكن سرعان ما صدر عفو شمله أيضا، وبدلاً من أن يركن للهدوء -ولم يكن ذلك من طبعه- اتصل بالبارزاني على وجه السرعة ليصبح في ١٩٤٥/١/١٥ عضواً في لجنة الحرية التي ترأسها البارزاني وضمت ميرحاج وعزت عبدالعزيز ومصطفى خوشناو وخيرالله عبدالكريم ومحمد قدسي وآخرين... والضباط الأربعة الأخيرين أعدموا في بغداد في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٤٧، وكانوا ما عدا ميرحاج، قد آثروا العودة الى العراق بعد انهيار جمهورية مهاباد في كوردستان إيران.

اما البارزاني و٥٠٠ من رجاله الأشداء بينهم الضابط والمقاتل ميرحاج فقد وصلوا الى البر السوڤياتي وعبروا نهر آراس في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ ويصف رفاق المسيرة البارزانية ميرحاج بأنه كان "هادئ الطبع كثير القراءة قليل الكلام وكان البارزاني يناديه دوماً بـ"مير" أي "أمير" وكان مثالاً يحتذى به لما فيه من الطيبة والصدق والجرأة والإقدام والتي مازال أهل عقرة يتذكرونها ببالغ درجات الحنين والود.

لعل شخصية ميرحاج هي التي كانت مصدر الهام للكاتب الشهيد شاكر فتاح الذي أعدم على أيدي السلطات العراقية في الثمانينيات لمجرد ابدائه بعض الآراء في ندوة في مدينة أربيل، واسمه يطلق الآن على المركز الثقافي في مدينة عقرة.

في ٢١ آب (اغسطس) ١٩٥٨ سافر البارزاني ومعه ميرحاج وأسعد خوشفي في طريق العودة الى رومانيا ومنها الى چيكوسلوفاكيا ومن ثم في أيلول (سبتمبر) ١٩٥٨ كانت القاهرة تحتضنهم واستقبلهم الزعيم العربي جمال عبدالناصر.

في ١٩٥٨/١/١٥ وبعد ملحمة من النضال عاد ميرحاج مع البارزاني الى العراق "فبعد خروج سري وشاق محفوف بالمخاطر من بغداد التي كانت تنصب له في كل شارع مشنقة هاهو يعود اليها كمناضل".

وعاد ميرحاج الى أحضان الأهل والوالد والحبيبة وكتب حينها في مفكرته "عندما ارتميت في احضان والدي محمد علي، عندها فقط شعرت بمعنى العودة".

لكن الفرحة لم تدم طويلاً فالثورة الكوردية الكبرى اندلعت في ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ بعد نقض الحكومة لوعودها وحينها كان ميرحاج في بغداد وقد تدهورت صحته فلجأ للتعبئة للثورة والتوعية بها بين الطلبة والمثقفين الكورد في بغداد، وكانت داره دوماً منتدى النقاشات الهادفة الى كيفية اعانة الثورة المندلعة في جبال كوردستان.

ومرت السنون ليلتقي ميرحاج بأحمد حسن البكر الرئيس العراقي السابق بناءً على طلب الأخير الذي خيّر ميرحاج بين اي منصب يريده، لكنه اعتذر بدبلوماسية ولباقة ويقول أميري فندي في الصفحة (١٣٨): "إن رفاقه حين سألوه عن نتيجة لقائه بالبكر قال: اذا كانت صحتي ستسمح لي بالعمل فسيكون ذلك في خدمة شعبي".

وفي عهد صدام حسين، الذي أغلقت فيه نوافذ التسامح وإحترام العمر والرأي وجد هذا العلم الكوردي نفسه، بين أيدي الموت في ١٩٨٨/١١/١٩ لرفضه تسلم حقيبة وزارية. لقد رحل ميرحاج ولكن أجمل اثر خلفه كان ذلك التحدي، وعدم مساومته على تراثه النضالي الذي ارتبط اشد الارتباط بالمسيرة البارزانية.

***

البارزاني داعية حوار حضاري

الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٥/٢١

تعقيباً على ما كتبه خالد الخفاجي في كلماته العارية عن الصحة والمنشورة في "الشرق الأوسط" في ٢٠٠٠/٥/٨ وكان قبل ذلك قد نشر شيئا شبيهاً بهذا، اود أن اقول: إذ لذنا بالصمت في المرة الاولى حين كتب بهدف الطعن دونما مبرر بشخصية مسعود البارزاني وبرصيده الشعبي والتاريخي والإعتباري داخل صفوف الشعب الكوردي، كمناضل صبور، ورجل سلام، وداعية حوار حضاري، فإننا كنا نتوقع أن يلوذ الخفاجي برأس الحكمة وهي مخافة الله واولى دلالاتها التحصن بشئ من الأخلاقية والكف عن التشهير بشخص يقول اعداؤه قبل اصدقائه انه رجل السلام في المنطقة والمدافع المخلص عن قضيتيه الكوردية والعراقية.

اننا نرتكن الى الحقيقة التي يعرفها الناس جهاراً "نهاراً" في كوردستان ونرتكن الى شهادات محررين من "الشرق الأوسط" زاروا كوردستان ويعرفون حق المعرفة أن مسعود البارزاني كثيراً ما اصبح خلال حياته السياسية ضحية صدقه وبراءته وتسامحه واخلاصه المبدئي لقضيته التحررية العادلة التي ترعرع في احضانها وتتلمذ على يد

والده الجليل البارزاني الراحل، اكبر قائد كوردي في التاريخ المعاصر، وعايش كل منعطفات الحركة التحررية الكوردية منذ انبثاق ثورة أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦١ولغاية الآن وذاق مرارتها، وهو حالياً يحتمي بالزهد الثوري ويمتنع عن التمتع الشخصي بثمارها اليانعة التي ترفل بها كوردستان العراق منذ انتفاضة ربيع عام ١٩٩١.

إن الزائر لكوردستان والمار بنقطة (كوَرِيّ) القريبة من بلدة صلاح الدين يعلم إن مسعود البارزاني تصدى هناك شخصياً للجيش العراقي المعتدي واقسم اغلظ الايمان أن لايستسلم أو يهرب وكان خياره البقاء والمقاومة وانتزاع النصر وهذا ما حصل، وهذه المعركة في ربيع ١٩٩١ إبان الانتفاضة هي التي رفعت معنويات المنتفضين وردت جيش النظام على اعقابه.

إن الخفاجي لايقرأ الاحداث والتطورات وخلفياتها والتعقيدات التي تتنامى في ظلها وبرغمها التجربة الكوردية. ولايكلف نفسه عناء التفكير السياسي السليم، فيجنح الى بسط معلومة خاطئة ويمررها.

***

خطوات طيبة... لكن ناقصة

المرأة الكوردية بإنتظار لفتة قانونية جريئة

الزمان ٢٠٠٠/٦/٧

بعد مرور ثمانية اعوام على الممارسة الديمقراطية -بكل ما اعترتها من عثرات- في كوردستان العراق وازدهار المشهد الإجتماعي بالوان التعبير الحر عن الذات وعن الظواهر الاجتماعية ومواطن الضعف والوهن في المجتمع بعيداً عن توتاليتارية النظام المركزي يحق للشريحة المثقفة ولاسيّما للاصوات النسائية الكوردية التي تصدح ولو بخجل خارج السرب وبمنأى عن التيار الإجتماعي الجارف والطاغي القائم على تراكمات متحجرة من الموروث التقليدي المتخلف عن لغة العصر، نقول يحق لها أن تطرح سؤالاً جوهرياً ومفصلياً وان تلح على حتمية انتزاع جوابٍ شافٍ وعصري وهو اين تقف المرأة الكوردية ضمن خضم هذا الإنعطاف الإجتماعي- الإقتصادي- السياسي- الثقافي والقانوني في كوردستان العراق؟

هل يكفي أن تتدرج بضع مئات من النساء الكفوءات السلم الوظيفي لنعت ذلك كظاهرة نهائية مستوفية لشروط حرية المرأة؟ أليست اشكالية وضع المرأة داخل المجتمع

الكوردي اعقد وابعد من ذلك بكثير؟ هذا اذا توخينا جانب الاستقصاء وإستقرار الحالات التي تجبر فيها المرأة على تغييب خياراتها ضمن طغيان سلطة وعقلية الرجل فيما يخص التوظيف أو الزواج أو التعبير الحر عن مكنونات مشاعرها أو اختيار مهنة خارج المألوف الإجتماعي وخارج الدور المرسوم لها. ثم أليس من واجب الجهات السياسية والإجتماعية التي تناصر المرأة في برامجها أن تبحث أولاً عن توفير الضمانات القانونية لحرية المرأة ولحقوقها الإنسانية لأن لاحرية ولا حقوق دونما توليفة قانونية- قضائية تولد وتتنامى وتتحصن في ظلها هذه الحقوق، بل إن هذه الضمانات نفسها لابد أن تتزامن مع سياسة تربوية تأخذ في الحسبان التطور الهائل الحاصل في الأفكار والاراء المطروحة عالمياً بخصوص النظرة والتجارب الجديدة في حقل تفعيل دور المرأة وانعاش دورها الانتاجي في التنمية البشرية والإقتصادية وسبل تحديث المجتمع على أساس التكافؤ والمساواة والتسامح.

ان الزائر لكوردستان العراق يجد بوادر تغيير ومحاولات ابراز انماط جديدة للتفكير بخصوص حقوق المرأة الكوردية ويسمع بعض الاصوات الجريئة في الصحف والمجلات وقنوات الاذاعة والتلفزة، ولكن ذلك لم يصل بعد الى حد الظاهرة المتجسدة الملامح القادرة على الدفع الى الأمام باتجاه تغيير راديكالي، لأن الرياح المعاكسة التي تصدها ماتزال قوية وهي التي تحكم مفاصل الحركة الإجتماعية، لأن المنظومة القانونية تقف الى صفها، وكنا من الداعين إبان إنعقاد مؤتمر الديمقراطي الكوردستاني الثاني عشر في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٩٩ الى أهمية أن لاتكتفي وثائق المؤتمر بالتأكيد على حقوق المرأة ومساواتها وإحترام إنسانيتها، فذلك يعد من باب اجترار المكرور فاذ تمسك الإدارة الكوردية بمقاليد الامور وبكل مفاصل الإدارة المدنية للمجتمع، فان المشهد ينبغي أن يختلف فالنصوص الجميلة والجذابة في التقارير ستبقى اوراقا مبعثرة تذروها الرياح أن لم تتوفر لها آلية قانونية- قضائية- تربوية- حضارية لصيانة وتفعيل تلك النصوص وجعلها جزءً فعالاً ومتحركاً ضمن النسيج المجتمعي وفي ساحات القضاء وميادين التنمية والانتاج والابداع الفكري.

ان المجتمع الكوردي وفي ما يخص اشكالية المرأة محكوم كما المجتمعات المجاورة بانماط تفكير مشوهة وعادات بدائية لاعلمية، وتفسيرات وتخريجات فقهية مربوطة قسراً بالدين، والدين منها براء، وبمنطق قبلي متقوقع على ذاته ومتكون من نظرية المرأة-العورة التي يمكن لاي فعل إجتماعي أو مبادرة تحقيق الذات أن تدنسها وتجعلها في منزلة منحطة إجتماعياً. أن جبل حقوق الرجل وما ينتزعها شرعاً وقانوناً وعرفاً من

حزمة الحقوق تقف عائقاً أمام تحرير عقل المرأة الكوردية من الاغلال وتنقية جسمها من وطأة المحرمات واخراج إنسانيتها من معايير اللامساواة وفك الارتباط بين المرأة ونظرية القصور البايولوجي والعقلي للانثى، وهي النظرية التي تصدت لها بجرأة داعية تحرير المرأة د. نوال السعداوي في كتابها "الانثى هي الاصل" من خلال الاستفاضة في استعراض البراهين العلمية والتاريخية والإجتماعية والنفسية وتخلص الى القول- بحق- أن قضية تحرير المرأة هي بالأساس قضية حضارية سياسية مرتبطة بتحرير عموم المجتمع.

مؤخراً رمى المشرع في المناطق الخاضعة لادارة الإتحاد الوطني الكوردستاني صخرة في المياه الراكدة لهذه الازمة الإجتماعية المستحكمة حيث صدرت قوانين لتحجيم ظاهرة تعدد الزوجات وتشديد عقوبة جريمة غسل العار، وهي الجريمة التي طالما وظفها الرجل للتغطية أحياناً كثيرة على القتل العمد ومن ثم التهرب من العقوبة والتفاخر بصيانة شرف العائلة. أن التشريعات الجديدة طرحت مجدداً أهمية التنسيق والتعاون بين الحزبين الكورديين الكبيرين في كافة المجالات المحورية الحياتية التي لاتقبل التسييس فاذا كان التعامل يجري مركزيا مع تطبيقات القرار ٩٨٦ الذي يمس صلب معيشة المواطنين في الإقليم كذلك الحال مع شؤون التعليم الجامعي بهدف صيانة المستوى العلمي على صعيد الإقليم، فلابد أن يتم التنسيق والى ابعد الحدود في ميدان التشريع القانوني منعاً لتعارض القواعد القانونية على ارض الإقليم وتلافياً للإشكالات الاجرائية وايضاً لمنح القانون ولاية مكانية أكبر.

لذلك كانت مبادرة إتحاد نساء كوردستان في٢١/٥/٢٠٠٠ حكيمة وفي محلها حين دعا الى إجتماع تداولي موسع ضم وزيري الداخلية والعدل وجمهرة من المثقفين والقانونيين والمعنيين بشؤون المرأة، وجرى فيه مناقشة ورقة مقدمة من رئيسة الإتحاد تحوي ١١ بنداً تعالج مختلف جوانب القصور في القوانين المتعلقة بالمرأة، وقد ناشدت الورقة إجراء مراجعة وإعادة تقييم وتعديل ما لايناسب دور المرأة الجديد والعصري في المجتمع الكوردي.

انني على ثقة أن الحكومة الرابعة لاقليم كوردستان وضمن سياستها الهادفة لتثبيت سيادة القانون وتفعيل مرتكزات التنمية البشرية والإقتصادية والإجتماعية، ستأخذ هذه البنود بنظر الإعتبار وسيكون ذلك نجاحاً إنعطافياً ذا طابع تغييري ايجابي على مجمل مستقبل التجربة الديمقراطية وسمعتها على الصعيد الدولي فلا حياة في مجتمع لايتعانق نصفاه لرفع اوتاد بنائه، وهنا لابد للمرء أن يسجل بامتنان العديد من

الخطوات التي دشنتها الحكومة الإقليمية لصالح رفع الغبن عن المرأة... ولكن الخطوة الكبرى المنتظرة تبقى كامنة في تغيير قانون الاحوال الشخصية وإجراء تعديل جذري في قانون العقوبات بخصوص جريمة "غسل العار".

في العام الماضي اصدرت الكاتبة والأكاديمية الكوردية كوردستان موكرياني كتابها "المرأة الكوردية مطوقة بالظلم" باللغة الكوردية ضم جملة من المقالات السياسية والإجتماعية التي تركز على النظرة المتعالية للرجل الكوردي للمرأة وتقول فيه "لقد آن الاوان لكي تتبوأ المرأة الكوردية المثقفة مكانتها في المجتمع فتصبح رئيسة حزب ومحافظة وعميدة جامعة وقاضية وما شاكل ذلك لكي يتضافر جهدها مع جهد الرجل الكوردي لصيانة إنجاز النضال التحرري الكوردي في كوردستان العراق والذي جاء نتيجة نضال دائم وموصول الحلقات".

لقد عانى المجتمع الكوردي في العراق برمته من التخلف والظلم والتنكيل حقباً طويلة ولكن الظلم الاضافي المركب هو الذي يمارسه الرجل الكوردي على المرأة التي نأمل أن تشعل لها الحكومة الإقليمية شمعة امل في نهاية النفق.

***

المؤتمر الثاني للحوار العربي-الكوردي

الزمان ٢٣/٦/٢٠٠٠

لم يكن انعقاد اول حوار كوردي-عربي في القاهرة عام ١٩٩٨ حدثاً عادياً بكل المقاييس، ولم يكن مجرد مؤتمر ضمن سيل المؤتمرات التي تزدحم بها المنطقة لاغراض شتى، بل كان إنعطافاً ايجابياً اخضر نحو تدشين طريق جديد لإعادة غربلة علاقة علاها الغبار وشابتها الشوائب والحقت بها عمداً تشويهات كثيرة نابعة من القراءة الخاطئة لمفردات التاريخ المشترك بين العرب والكورد، ومن التخريجات الباطلة التي اسبغها عليها الإعلام الرسمي لبعض الانظمة العربية وبعض الكتاب العرب المرتبطين بهذا الإعلام والذين دأبوا حقباً من الزمن، وانطلاقاً من نظرية المؤامرة المزعومة، على اعداد لوائح اتهام بحق النضال التحرري الكوردي في العراق والمشروع القومي للدفاع عن حقوق مشروعة لأمة مضطهدة.

وكان ذلك الحوار الفكري الثقافي الاستراتيجي تأسيساً لوعي آخر قائم على رفض العنف في مواجهة طموحات الآخرين والارتكاز الى لغة شفافة ومرنة لاستيعاب الرأي

الآخر، عوضاً عن نفيه والتنكيل به وتصفيته، ولو الى حين، فذلك الحوار وضع حجر الأساس لثقافة بديلة في تعامل المحيط العربي مع قضية ساخنة وملتهبة هي القضية الكوردية.

وربما كانت حيوية وديناميكية المؤتمر الاول كامنة اصلاً في اقرار اسباغ صفة الديمومة والإستمرارية على الحوار مع كورد العراق، لكي يبقى التحاور مشروعاً متنامياً قابلاً للتطور والاغناء والاضافة بهدف مواصلة تنقية العلاقة التاريخية بين الشعبين العربي والكوردي من الشوائب وتجذير المصالح المشتركة التي تجمعها وبناء آصرة مستقبلية خضراء ومستوفية لاستحقاقات العصر وقابلة لالحاق وتد جديد بصرح التنمية الإقتصادية والبشرية والإجتماعية والديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، إنطلاقاً من مسلمة أن ترك حبل المشاكل على غاربه يستنزف المزيد من الموارد الإقتصادية ويهيل التراب على إحتمالات الانفراج السياسي ويفضي الى إستمرار تغييب التعامل الديمقراطي بين الشعوب.

لذا ومن خلال هذا المنظور يبدو كم كان ضرورياً ومتناغماً مع فروض المرحلة التئام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثاني للحوار العربي-الكوردي في مركز الدراسات العربية في لندن الذي يرأسه عبدالمجيد فريد عضو اللجنة المصرية للتضامن، وذلك في الفترة ١٢ الى ٢٠٠٠/٦/١٤، وشارك في إجتماعاتها كاتب هذه السطور. فاذا كان الحوار الاول تأسيسياً فان المؤتمر الثاني المرتقب سيكون منفتحاً على واقع تفصيلي وسيبحث ليس في شعار تعميق وتوطيد وإعادة مياه العلاقات الى مجراها الطبيعي فحسب، بل ويركز ايضاً على استحداث اليات تطبيقية ميدانية للعلاقة العربية مع كورد العراق والتجربة الديمقراطية والإدارة الإقليمية في كوردستان العراق.

وكما اكد السيد أحمد حمروش رئيس اللجنة المصرية للتضامن في حوار مع مكتب اعلام الخارج للحزب الديمقراطي الكوردستاني فان الحوار الاول كان له تأثير كبير على المثقفين والمفكرين العرب، ولم يكن ممكناً البحث خلال اول حوار في الآليات التنفيذية، الا أن الحوار الثاني المقرر عقده في شهر تشرين الاول (اكتوبر) القادم سيفتح الباب أمام الإقتراحات العملية والآليات التي تتوخى تجسيد العلاقات التاريخية والمستقبلية بين الشعبين وتدعيم المصالح المشتركة وابراز ثوابتها، كان حمروش واضحاً في تلك المقابلة في تأكيد حرية خيار الشعب الكوردي ضمن العراق الموحد.

ان الحوار الكوردي مع المحيط العربي غير العراقي امر ذو طابع مغاير لحوار الكورد وتواصلهم مع عرب العراق. فالنخب السياسية والفكرية العربية والكوردية حديثة العهد

في لغة الحوار ولابد اولا من تأسيس وعي فكري قائم على المخزون والموروث الحقيقي لحقائق التاريخ والجغرافيا والسياسة كأساس ضروري لتسهيل اقناع العرب غير العراقيين بالطموحات المشروعة للشعب الكوردي، بإعتبار أن حقبة طويلة من انقطاع التواصل مرت بالطرفين نتيجة التعتيم الإعلامي الذي فرضته الحكومات العراقية المتعاقبة على جذور وافاق القضية الكوردية في العراق وعدالة مطالبها.

أما حوار الكورد وتواصلهم مع العرب العراقيين فقد بلغ افاقاً متقدمة في مضمار تفهم المعضلة القومية الكوردية والاقتناع بشعاراتها السياسية. لقد اكد بيان اللجنة التحضيرية الصادر في ٢٠٠٠/٦/١٤ على ايجابيات عقد المؤتمر الثاني للحوار في احدى الدول العربية، لما في ذلك من مغزى كبير ودلالات ودية حميمة، فالعرب اولى من غيرهم باستضافة حوار مع ممثلي شعب يعيش بين ظهرانيهم، وكانت استضافة جمهورية مصر العربية لاول حوار كوردي-عربي امراً في غاية الأهمية لما لهذه الدولة من ثقل حضاري وثقافي وسياسي، وتاريخيا فان القاهرة هي العاصمة العربية التي احتضنت صدور اول صحيفة كوردية في ٢٢ نيسان (ابريل) ١٨٩٨ وانشاء اول مطبعة كوردية، وكانت العاصمة التي اشرعت أبوابها للزعيم الكوردي الراحل مصطفى البارزاني في رحلة عودته من المنفى السوفياتي الى العراق عام ١٩٥٨.

إن انعقاد الحوار فوق أرض عربية يضفي بحد ذاته قدراً اوفر من المصداقية ومعاني وتجليات روح المصالحة والتواصل، فالضيافة كمفهوم إجتماعي يتعمق ليكتسب مدلولاً سياسياً متقدماً. اننا مقدمون في كل الاحوال على لقاء آخر بين نخبة الفكر والثقافة العربية والكوردية، وستكون افرازاته ايجابية حتماً لجهة إعادة تشكيل الموزائيك المستقبلي لتعاون امثل بين امتين كانتا على مر التاريخ في حالة وئام وما احراها أن تظل كذلك، على قاعدة الإعتراف بحق الشعب الكوردي في اختيار مصيره وصيانة خصوصيته القومية اسوة بكل شعوب العالم.

***

مصطفى البارزاني واسرائيل... قميص عثمان

الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٦/٣٠

رداً على مقالة شاكر عبد الله الأنصاري في "الشرق الأوسط" يوم ٢٠٠٠/٦/٩ لي التعليق التالي: ربما كان التاريخ أحد أكثر العلوم عرضة للتفسيرات والتخريجات

الذاتية الطابع حتى لو كتب وتم توثيقه بالأدلة والبراهين والقرائن، هذا إذا توخينا الدراسة التحليلية التي تتجاوز السرد المحض، فالقرائن تختلف حسب المنظور الذي نتوسل به في الرؤية بهدف بلوغ نتيجة معينة.

إن لم يكن الأمر كذلك، فلماذا حصر (شاكر عبدالله الأنصاري) في مساهمته في "الشرق الأوسط" يوم ٢٠٠٠/٦/٩ رمز النضال التحرري الكوردي البارزاني الراحل في زاوية ضيقة هي العلاقة مع اسرائيل، والتي أصبحت فعلاً قصة قميص عثمان التي يواجه بها الكورد وعدالة قضيتهم، رغم انها فعلاً من أكثر الأمور هامشية في تاريخ البارزاني الذي استمر طوال نصف قرن تجاوز فيه بنجاح أكثر الإختبارات عسراً وإستطاع أن يبني لشعبه ولقضيته جذراً راسخاً لم تعد تزعزعه العواصف، وحفر لها في الضمير العالمي أثراً هو كما النقش على الحجر، ليصبح وفق كل الموروث الفكري والإعلامي والأدبي الذي كتب ومازال يكتب عن القضية الكوردية محلياً ودولياً، رمز نضال شعب طحنته الحروب ومزقته المحن والكوارث.

لقد خط البارزاني الراحل، وكما اجمعت الدراسات والمداخلات التي قدمت في آخر مؤتمر عالمي حول الهوية الكوردية في ٢٠٠٠/٤/١٧ في الجامعة الأميركية بواشنطن، مساراً ناجحاً ومتميزاً لواحدة من أعقد قضايا التحرر في العالم، فابعدها عن التشنج القومي والتقوقع وقربها من نبض المنطقة، حيث برع في الربط بين حق الدفاع عن انتمائه الكوردي وصيانة هذا الإنتماء من الصهر في أتون الحرب العنصرية البغيضة التي شنت على الشعب الكوردي، واحتفظ في الوقت ذاته باوثق آصرة وجدانية مع موجبات التعايش والحوار الحضاري مع المحيطين العربي والإسلامي.

لذلك كان الأجدر بالأنصاري أن يستشهد بالشهادات التي أدلى بها زعماء وسياسيون تجاه البارزاني، بينهم عبد الرحمن عزام باشا أول رئيس للجامعة العربية، والرئيس جمال عبدالناصر وكمال جنبلاط ونخبة خيرة من صفوة مفكري وإعلاميي العرب الذين زاروا كوردستان العراق أخيراً وكتبوا مقالات وكتباً عن الحقائق التاريخية والسياسية بعيداً عن ضبابية ومبالغات وتشويهات الإعلام الرسمي للعديد من الأنظمة العربية التي صورت الكورد والبارزاني وكأنهم حالة شبيهة باسرائيل، وهذه اسطوانة مشروخة لم تعد تحرك سواكن أحد لأن الأحداث اللاحقة أجهزت عليها. فالكورد، وهذه حقيقة تزكيها الجغرافيا والتاريخ، هم أحد أقدم الشعوب على أرضهم الحالية، لكنهم ضحية اللاعدالة السياسية ولكي يعود التوازن إلى الميزان المختل فقد تطلع الكورد وما زالوا يتطلعون إلى علاقة متكافئة مع العرب والشعوب الأخرى في المنطقة، وكانوا

دائماً عنصراً إيجابياً لصالح تفعيل وتنقية ملف الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبذلك تدخل المنطقة إلى مرحلة جديدة من التنمية والإستقرار بعيداً عن كل أشكال القهر والتنكيل والعنف.

ونذكّر الأنصاري بالموقف النبيل للبارزاني إزاء قضية فلسطين إبان حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣، حيث رفض القيام بما يمكن أن يفسر وكأنه محاولة لإشغال الجيش العراقي عن مهمته. إننا نستطيع أن نستشهد بعدد وافر من الصور والقرائن لتعامل زعماء عرب مع إسرائيل قبل وبعد النكسة في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وقبل وبعد إتفاقية أوسلو، فلماذا يعتبر ذلك حلالاً وأمراً طبيعياً في حين يهال التراب على كل إيجابيات التاريخ النضالي الكوردي من قبل بعض الاقلام العربية التي لاتنظر إلى الأمر إلاّ من كوة العلاقة الكوردية-الإسرائيلية المزعومة والمضخمة؟!

لاشك أن هناك أقلية يهودية كردية في اسرائيل مثل الأقلية اليهودية المغربية واليمنية والسودانية، فلماذا يمنع على الكوردي أن يملك علاقة طبيعية مع بني جلدته هناك، في حين يعتبر ذلك مألوفاً بالنسبة للدول العربية التي فتح بعضها سفارات لاسرائيل في عواصمها؟ ثم أن العالم كله يتجه إلى مسيرة العولمة والحوار والتمازج والتواصل العلني والمكشوف.

إن النقطة المحورية التي لايمكن للأنصاري أو لأي كاتب عربي أن يتجاوزها، هي أن الكورد لم يوظفوا أي علاقة ضد العرب ولو فعلوا ذلك لتغير الكثير من الوقائع على أرض الواقع.

إن العلاقة الكوردية-العربية باتت أصلب عوداً بكثير من أقلام لاهمّ لها سوى نبش الماضي لالغاء إيجابياته وتهويل مفاصل معينة منه، والحوار العربي-الكوردي الحضاري الذي دشن في القاهرة قبل اعوام يمضي بخطى حثيثة إلى الأمام وسيلتئم مجدداً لمنحه صفة الديمومة وتفعيله فكرياً وسياسياً وثقافياً، كأحد مرتكزات التنمية والسلام في الشرق الأوسط. لذلك ندعو كل الأقلام العربية لتتضافر لهذه المهمة الحضارية، أما حقائق ماضي وحاضر الحركة التحررية الكوردية وتجربتها الديمقراطية في كوردستان العراق، فهي كما الشمس التي لم ولن تحجب بغربال.

***

كلّ القوميات العراقية في مهرجان لندن

الشروق الأوسط ٢٠٠٠/٧/٢٩

لايمكن أن نتصور اية معارضة سياسية فاعلة ومؤثرة، اذا هي تخلت عن الخطاب الثقافي والابداعي البديل الرافض لما هو كائن والعامل لتدشين ما ينبغي أن يكون، فالإنجاز الروائي والشعري والغنائي والموسيقي والمسرحي والتشكيلي، وما الى ذلك من اشكال الخلق والابداع، هي التي تضخ الدماء الجديدة في شرايين الخطاب السياسي المعارض وتمنحه صفة المشروعية والاقناع والمصداقية، لاسيّما أن الانظمة الدكتاتورية تحشد جل قواها لبلورة ثقافة سلطوية هشة وديماغوغية تختزل حقائق التاريخ -بعد تقليمها وتقزيمها وعصرها- وتجليات الحاضر وإحتمالات المستقبل تحت عنوان واحد وخيار مطلق يحرم الجنوح عنه، هو تزكية رأس النظام وتقديمه على انه الاحسن المطلق والشخص -الضرورة والحاكم- القدر الذي بدونه ينهار الشعب وتضيع القضية ويتفتت الوطن.

لذلك فإن تجذير ثقافة عراقية بديلة قائمة على ثقافات مفردات وعناصر الشعب العراقي العربية والكوردية والتركمانية والآشورية. وخياراته وتطلعاته، ومبنية على الحقائق التاريخية كما هي لا كما تفسرها ثقافة واعلام السلطة المركزية، انما يشكل المشروع الحضاري العراقي الاوفر حظاً في البقاء والتنامي، والأكثر قدرة على تفعيل الديمقراطية في عراق المستقبل، وهو الشعار السياسي المركزي للواقفين في خندق المعارضة العراقية.

ولا جدال أن المهرجانات الغنية العطاء والعميقة الدلالة والمغزى فكرياً تحتشد فيها نخبة المثقفين والمبدعين العراقيين بشتى إنتماءاتهم القومية والفكرية، هي المؤشر الحي على أن ثقافة السلطة لم ولن تحمل هوية الوطن ونسغه وستبقى اوراقاً صفراء مبعثرة في دهاليز قصور النظام ولن تتنفس هواء الخلود، فهي مرهونة بحياة النظام.

اما الهوية الثقافية العراقية الحقيقية والخضراء التجليات فهي التي تنتشر رغم اسلاك النظام الشائكة التي تحاصر حتى الاحلام في الداخل، وتتنامى في مواقع الشتات والمنافي القسرية التي تحولت الى حاضنة للابداع العراقي وبستانه العامر ببراعم الامل والمستقبل الأجمل.

ففي عام ١٩٩٢، وكذلك في الفترة من ٦ الى ١٩٩٤/١٠/٩ إحتضنت دار الثقافات العالمية في مدينة (برلين) خيرة مثقفي العراق لعرض العطاء الابداعي وتقييم

الوضع السياسي من خلال الخطاب الثقافي الرفيع المستوى، وتفعيل الحوار في مواجهة الكم الاستهلاكي الذي يفرزه حشد من أنصاف المتعلمين في خدمة النظام ضمن مناخ القمع والتنكيل وروائح اقبية الأمن والاستخبارات وقصور النهاية. وفي عام ١٩٩٤ وضمن المهرجان قدم الفنان الكوردي الوطني الشهير (شفان) أمسية غنائية معنوية كالعادة للإنسان والوطن وللظمأ الذي لايرتوي الا بتدفق نبع الحرية، وكانت تلك لمسة حب ساخنة وطافحة بحرارة العناق الكوردي-العربي، وكما اشرنا في حينه في مقال لنا بالمناسبة في صحيفة (خبات) الصادرة في اقليم كوردستان العراقي فقد "تعانقت القصيدة مع اللوحة واللقطات المعبرة لتقول بصوت واحد لا للدكتاتورية وثقافتها الهزيلة، ونعم للديمقراطية وابداعها المزدهر".

وقبل أسابيع تعانق مجدداً عشاق الحرية العراقيون لغرس الازهار اليانعة على اديم الجرح العراقي الذي مازال فاغراً، فقدموا في الفترة ٤/٢٥ ولغاية ٢٠٠٠/٥/٣ في مدينة (لندن) نتاجاً متميزاً في حقول الادب والفن والحوار الفكري المنفتح على تلاوين الشعب العراقي والمستوعب لهمومه واحزانه وآماله والمنحدر من خلفية التنوع الثقافي العراقي والتوق الازلي الى الحرية والديمقراطية كخيار لاخيار سواه، لقد شكل المهرجان بجانبيه الابداعي والفكري تظاهرة ثقافية- سياسية - بالمعنى الواسع للكلمة- جذرت وبآلية حضارية واعدة هوية الإنسان العراقي وأطر ثقافته، واضافت وتداً آخر الى صرح العراق الذي كان، والذي ينبغي أن يعود مستقبلاً ليكون. إن "إعلان المبادئ" الصادر في ختام هذا الأسبوع الثقافي يؤكد أن الثقافة الوطنية العراقية هي ثقافة كل قوميات العراق من العرب والكورد والتركمان والآشوريين، والجميع مبدعي هذه الإنتماءات القومية الحقوق المتساوية نفسها في التعبير والنشر والاحتفاظ بالهوية.

وفي التفاتة ذات مغزى للاقتراب من نبض الوطن ومعايشة مناخاته بعد عقود من الابعاد القسري الذي خلف الاغتراب الكامن، جرى اقرار اقامة مهرجان للثقافة العراقية على ارض كوردستان العراق الخارجة عن طوق السلطة المركزية التي تتمتع بالحرية وبازدهار ثقافي وتطور سياسي في ظل الحكومة الكوردية الإقليمية. أن هذا سيفضي بالتأكيد الى اطلاع اوسع لنخبة المثقفين العراقيين على التجربة الكوردية وتفعيل الآصرة الأخوية بين المبدعين العرب والكورد وانعاش التفاعل بينهم، ولكن ايضا، وهذا هو بيت القصيد، يؤدي ذلك الى اجتذاب العراقي المبدع والمثقف الى صميم تجربة ديمقراطية تمارس في واقع الارتباط بالوطن والانسلاخ عن طوق السلطة العراقية.

***

كورد لبنان قضية سياسية أخرى...

المنفى الاضطراري بات الوطن الإختياري

الزمان ٢٠٠٠/٨/١٥

في معركة الإستقلال عام ١٩٤٣ كان الكوردي اللبناني (عبد الكريم عتريس) هو أول من تسلق البرلمان، لإنزال العلم الفرنسي ورفع العلم اللبناني، في اشارة بالغة المغزى بان الجالية الكوردية الهاربة من النير العثماني قد اختارت لبنان الجمال والحرية وطناً وليس مجرد ملجأ اضطراري أو بيت مؤقت يغادرونه حالما تتوافر ظروف أكثر ملاءمة.

والاستشهادات والاحصاءات الميدانية والقرائن والادلة التي يقدمها الكاتب اللبناني (صلاح عصام ابو شقرا) في كتابه الصادر بعنوان "الكورد شعب المعاناة - نافذة على واقعهم في لبنان والعالم" يؤكد هذه الحقيقة ويقدم شهادة موثقة لمدى اندماج كورد لبنان في المجتمع اللبناني سياسياً وإجتماعياً وإقتصادياً.

ان كتاب ابو شقرا له جملة من الميزات فهو يتطرق لموضوع تفتقر اليه المكتبة اللبنانية والكوردية، ثم انه أساساً دراسة علمية احصائية بعيدة عن العواطف وتستند الى دراسة موضوعية اعدها المؤلف بعنوان "الكورد في لبنان - دراسة إقتصادية وإجتماعية".

ان الكتاب يتمحور حول معاناة الكورد اللبنانيين من مختلف الجوانب بسبب علة أساسية هي عدم تجنسهم لغاية العام ١٩٩٤، وعدم التجنيس لاشك يترتب عليه فقدان الاطمئنان والإستقرار والحرمان من حق العمل والضمان الإجتماعي والتامين الصحي ناهيك عن التهميش والتقزيم الذي ينال حقوقهم السياسية، ويقول المؤلف بهذا الصدد أن ما دفعه لنشر هذه الدراسة "هو أن كورد لبنان وان لم يضطهدوا كما حصل ويحصل لاخوانهم في كل من تركيا والعراق، لكنهم عانوا الكثير من المشكلات بسبب عدم التجنيس فكان لابد من نشر هذه الدراسة لتعريف اللبنانيين بواقع مواطنيهم الكورد من اجل توحيد الارادات والعمل معاً للمصلحة المشتركة.

وينضم لهذا الرأي الوزير الدكتور (عصام نعمان) في مقدمة الكتاب اذ يؤكد أن التجنيس الذي شمل عام ١٩٩٤ أكثر من ستين في المائة من كورد لبنان حل الى حد بعيد اشكالية التوزيع الكوردي النفسي بين ملجأ انتقالي والرغبة في التوطن في وطن آمن ومستقر ودائم ولا ادل على ذلك أن الكورد وبعد التجنيس اتجهوا لخيار المشاركة في العمل السياسي والوطني والاندماج الحر في المجتمع اللبناني، وبادرت جمعياتهم وافرادهم الى رفع يافطات يعلنون فيها استعدادهم واولادهم الى الانخراط فوراً في

الجيش للدفاع عن ارض الوطن، لبنان الديمقراطي التعددي الحضاري الذي لايهمل اي جزء مهما كان صغيراً من موزائيكه المجتمعي وهذه ميزة لبنان.

يضم الكتاب المؤلف من (٢٠٥) صفحات ستة فصول تستعرض اصل الكورد في لبنان واوضاعهم السياسية والإقتصادية، اضافة الى هجرتهم من لبنان بفعل الحرب الاهلية وعدم التجنيس لعقود طويلة، كما يقدم المؤلف معلومات تفصيلية حول النشاط الإجتماعي لهذه الشريحة من المجتمع اللبناني في بلاد الشتات الاوروبي.

إن عينة هذه الدراسة الشاملة والغنية بالارقام هي (٢٥٢) اسرة كوردية لبنانية تم انتقاؤها في مدينة (بيروت) ومنطقة (برج البراجنة). يذكر أن العدد الاجمالي لكورد لبنان يبلغ نحو (١٠٠) الف وفق مختلف الاحصاءات على الرغم من الإختلاف النسبي في التقديرات واكبر حملة لتجنيسهم كانت في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٩٥ بموجب المرسوم (٥٢٤٧) الصادر عن وزارة الداخلية اللبنانية. وفي هذا الصدد تعلق الشخصية الكوردية اللبنانية (حسن الملا) المقيم حالياً في ألمانيا أن الجمعية الكوردية اللبنانية الخيرية التي كان احد نشطائها عام ١٩٦١ قامت آواخر الستينيات بعملية احصائية من خلال التجوال على القرى ومواقع تواجد الكورد وتبين ايضاً أن العدد الاجمالي يتراوح بين (٧٠ - ١٠٠) ألف.

وهذه الجمعية مازالت قائمة وتنجز فعالياتها على الرغم من أن المؤلف -كما يقول الملا- قلل من أهمية الدور الريادي لهذه الفاعلية الكوردية التي عمل فيها نخبة من الوطنيين الكورد اللبنانيين مثل (محمد سروخان ملا) و(فرح علي) والد (غازي فرح علي) الذي اغتالته المخابرات العراقية مع اثنين من رفاقه عام ١٩٧٦ في بيروت بإعتباره احد الناشطين في تأييد كورد العراق.

الواقع أن تأثيرات الحركة الكوردية العراقية كانت لها انعكاساتها وإمتداداتها الطبيعية داخل صفوف كورد لبنان. في عام ١٩٧٠ تشكل الحزب الديمقراطي الكوردي الذي انشق فيما بعد. وفي عام ١٩٧٥ تأسس حزب (رزگاري الكوردي) ولكن واقع النكسة الكوردية في كوردستان العراق سرعان ما انعكس عليه ايضاً اضافة الى ظروف الحرب الاهلية اللبنانية. إن الدراسة الميدانية التي اجراها المؤلف تشخيص بالادلة والارقام أن حرمان الكورد من الجنسية اللبنانية منذ توافدهم الى لبنان في مطلع القرن العشرين بذريعة الحفاظ على التوازن الطائفي القائم على صيغة عام ١٩٤٣ شكل جذر المشاكل والتعقيدات الحياتية المتنوعة التي عانى منها طويلاً كورد لبنان، الذين يقول عنهم المؤلف في مبحث بعنوان "اندماج الكورد في المجتمع اللبناني" انهم لم ينالوا

مايستحقونه من حقوق مشروعة في بلد ولدوا ونشأوا فيه ودافعوا عنه ويطالب -بحق- لإنصاف هذه الشريحة الإجتماعية اللبنانية في وطن تكوّن أساساً على مبادئ الديمقراطية والحرية والتعددية الثقافية وبقي ارضاً خصبة لنمو حق التعبير واثبات الذات والهوية القومية والدينية والفكرية... في عالم عربي قاعدته الانظمة الشمولية واستثناؤه، ربما الوحيد، هو لبنان.

***

خواطر سياسية على قرار تكريم شخصيات عربية في كوردستان العراق

نشر في جريدة (خەبات)

قبل عقود من الزمن، كانت الحركة التحررية الكوردية بكل تجلياتها وبكل تراكماتها، بل وبكل ما تستبطنه من معاني الحق والعدالة والانصاف، قابعة في زاوية منسية خلف جبال عصية على الركوع والاستسلام، وكان طوق التعتيم الإعلامي المطبق يلاحقها حيثما تحركت وكان قلة من الكتاب المجازفين مثل (دانا آدامز شميت) في كتاب (رحلة بين رجال شجعان) و(رينيه موريس) في (كوردستان أو الموت) و(وليم ايگلتن) في (جمهورية مهاباد) وآخرون هم كما الاصوات المغردة خارج السرب دفاعاً عن منطقة بائسة من العالم وطأتها قبلهم مخيلة الكاتب الألماني (كارل ماي) فسماها كوردستان المتوحشة.

ولكن هذه الارض المتوحشة مجازاً والاليفة المنطوية على أجمل مظاهر الدفء والحنين حقيقةً، استهلت تراميها في الذاكرة الجمعية العالمية، وفي الوجدان البشري وفي مسامات النصوص المكتوبة عن الثورة والثوار المنتشرين على البؤر الملتهبة في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا، وذلك في أوان المنعطفات الكارثية.

إن الملفت في سيرة الثورة الكوردية انها لم تكن تعلن حضورها القوي، ولم تكن الوان طيفها تنتشر على اديم الساحة الإعلامية والسياسية الا في اوان الكوارث والمحن والأختبارات العسيرة التي كانت تحرق الأخضر واليابس، وتجهز على الضرع والزرع، فلا تُبقي ولا تذر.

في العام ١٩٧٨، فاض في قلبي بالألم وانا اشاهد السكوت والصمت تجاه قضية هي واحدة من اعدل قضايا التحرر في العالم، وفي الوقت ذاته أكثرها تعرضاً للظلم

والتشويه والغبن، فكتبت قصيدة (يا وطني) المنشورة في ديواني (قصائد للحب والوطن) ويقول أحد مقاطعها:

يا وطني المحاصر المكابر المغامر
هل يُكتب يوماً عنك في جريدة ولو خبر
هل تنبري إذاعة، وكالة للغوث كي تنعى
شهيداً من شهدائك الذين يكتبون صك موتهم
ويمضون الى حيث القدر
يا وطني بيادر القمح لأسراب الجراد
ووجهك البريء حقل من جراح من حنين من وداد
ولون عينيك أراه قاتماً يعلن للذي
نسميه الضمير العالمي يوم الحداد

كانت اللوحة إذن، قاتمة الالوان، والمشهد يبعث على الاسى، والاغنية خافتة الصوت واللحن يتردد ولكن على اوتار مقطوعة.

لكن فاجعة حلبجة حركت السواكن بعض الشيء لأنها كانت جريمة غير مسبوقة ولأنها ارتكبت بسلاح يبعث مجرد التهديد به على الرهبة والخوف والموت النفسي، ولأنها ايضاً كانت مسجلة على الشريط بمعنى انها لم تكن قابلة للإنكار والتنكر والنفي.

وهكذا بدأت الشرنقة تتشقق، وراح الإنسان الأوروبي يبحث في بطون الكتب ليكتشف شعباً يقاوم حتى المطر الكيمياوي ويبقى واقفاً على قدميه وكأنه يعلن في لحظة الموت ميلاده، واذكر انني في ذلك الحين دعيت الى مدرسة ألمانية اعلنت تخصيص ساعة يستمع فيها التلاميذ الى آلام المدينة الكوردية التي اقترنت بهيروشيما اليابانية والتي اصبحت اشهر مدينة كوردية على الخارطة الوجدانية للإنسان حيثما كان وصارت (الوشم الابدي في الضمير العالمي) كما سميتها -بحق- في قصيدة طويلة سترى النور قريباً في ديواني القادم (أشعار لاتبكي).

هل كنت بحاجة الى كل هذه التوطئة لأكتب قولاً حقاً عن قرار تكريم خمس شخصيات عربية بتوجيه من الرئيس مسعود البارزاني وهي جمال عبدالناصر وكامل الجادرجي والسيد محسن الحكيم والجواهري العظيم وعزيز شريف؟ ربما فالشيء بالشيء يذكر ونحن لن ندرك قيمة هذا القرار ونبله وثقله الإعتباري ودلالاته المستقبلية، الا حين

نعود بالذاكرة الى تلك الأيام العصيبة الخانقة التي كان فيها جيش الأعداء يصطف ويتماسك حول خناق القضية الكوردية كما السوار حول المعصم.

فكم كان جميلاً أن اصواتاً قليلة، ولكن مؤثرة لم تكتف بلعن الظلام، بل انها اشعلت شمعة وسط العتمة، فقد كان عبدالرحمن عزام باشا الامين العام الاسبق للجامعة العربية في غاية الوئام والتناغم مع وجدانه حين صرح لمجلة الهلال المصرية عام ١٩٤٣ "ان حبي وتقديري للشعب الكوردي هو بقدر حبي وتقديري لشعبي العربي، ولاينبغي أن نترك القضية الكوردية في العراق دون حل"، والرائع في هذا الموقف انه لم يُترك هباءً منثورا فقد رد البارزاني الخالد في العام ذاته "انني لم ولن احارب الشعب العراقي، هذا الشعب الذي انتمي اليه، انني احارب الاستعمار واعوانه".

لايسعني هنا الا أن اجدد ما قلته في برنامج المنبر عبر فضائية كوردستان يوم ٣٠/٩/٢٠٠٠، إن مسار الحركة الكوردية كان سيتغير وان انهاراً من الدموع والدماء كانت ستوفر لو جرى منذ البداية التعامل مع الهموم والتطلعات الكوردية بهذا الشكل العقلاني وليس بلغة الحديد والنار والأساليب الإستئصالية البغيضة التي قد تستأصل جذور الاشجار ومنابت العشب ومنابع الماء وتقتلع الزرع والحجر، ولكنها تواجه استحالة مطلقة في اجتثاث الحق من موطنه أو تغييب حب المقاومة عن الذاكرة الكوردية.

لنعد اذن الى اللحظات العصيبة التي كان فيها القول الجميل والقصيدة المتضامنة وإعلان الموقف المناصر للهم الكوردي ذا قوة إعتبارية أكثر بكثير من قوة البندقية، ولعمري انها سنة الحياة، فما يخطه القلم يحفر اخدوده تحت اعمق مسامات الجلد ويخلد في اوسع دوائر القلب، ليصبح جزءً لايتجزأ من التأريخ ومن سجل الذاكرة التي لاتنسى أن ثمة رجالاً غردوا اجمل غنائياتهم ضمن خضم من الالحان النشاز والكتابات المؤدلجة والجاهزة القوالب ضد إرادة الشعب الكوردي.

في العام ١٩٥٨ مر البارزاني الخالد بعد سنين من النفي بالقاهرة في طريق العودة الى بغداد، فعانقه الراحل جمال عبدالناصر لأن مايربطهما من معاني الثورة ومقارعة الظلم وهموم الإنسان كان هو الطاغي والمنتصر على سيل المواقف الضيقة الأفق والبالية المعنى والغائبة عن المنطق والتي كانت بعض النخب السياسية في العراق تتخذها منظاراً لرؤية القضية الكوردية.

والقاهرة ليست عاصمة عادية وليست مدينة ككل المدن، فهي حاضنة اول صحيفة كوردية في ٢٢ نيسان ١٨٩٨ وفيها تأسست اول مطبعة كوردية ليخرج الحرف الكوردي من مرحلة البداوة والإنغلاق على الذات الى عوالم الحضارة الفسيحة.

وفي عام ١٩٥٨ انتقل الصوت الكوردي منها عبر الاثير الى العالم، وظلت القاهرة بثقلها البشري والحضاري والإعتباري والثقافي منحازة الى لغة التعامل المتمدن ولغة التصالح مع الكورد، ولن تصبح يوماً مرتعاً لدعوات الحرب والقتال، وهي كما الأم الحنون اشرعت ذراعيها لأول حوار عربي- كوردي عام ١٩٩٨ لتؤسس لعلاقة حضارية مرنة ومتفائلة ومشبعة بآفاق الأمل والتنمية والتطور على انقاض ركام من الشكوك والريبة والتنافر سادت العلاقة العربية-الكوردية سابقاً.

وقبل اشهر التأمت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثاني للحوار العربي-الكوردي بعد أن حضر السيد احمد حمروش الى لندن وقد عقدت اللجنة سلسلة من الإجتماعات حضرها كاتب هذه السطور كعضو في اللجنة التحضيرية، وعقدنا العزم أن يصبح المؤتمر القادم مجالاً لأستحداث آليات تطبيقية لترجمة الحوار الى واقع عملي، وكنت من القائلين أن إنجاز هذا الحوار في دولة عربية سيكون امراً بالغ الدلالة والمغزى لأن التحدث الى النخبة الفكرية والثقافية والسياسية والادبية العربية بين ظهرانيها وفي وسط عربي يحمل نكهة واثراً أكبر بكثير مما لو عقد في عاصمة أوروبية.

الواقع أن خطوة تكريم شخصيات عربية واحياء ذكراهم في اقليم كوردستان العراق يعد من حيث الجوهر إنجازاً عملياً لتجسيد الحوار وستعقبه بالتأكيد خطوات تطبيقية أخرى انطلاقاً من النهج الواقعي والعملي الذي أسس له الديمقراطي الكوردستاني والبارزاني الخالد وحفر اخدوده عميقاً في نهر الحركة الكوردية وهو ذات النهج الذي عمقه الرئيس مسعود البارزاني، سواءً في تعامله مع معضلة السلام الداخلي، أو مع المحيط الإقليمي بحيث اصبح هذا النهج مع سيادة القانون والتنمية المفاصل الحيوية لبرنامج الحكومة الإقليمية برئاسة الأخ نيچيرڤان البارزاني.

ولاجدال أن الزيارات التي سيقوم بها البارزاني الى بلدان عربية ومشاركة وفد الحكومة الإقليمية في الذكرى الثلاثين لرحيل جمال عبدالناصر تشكل معالم بارزة على طريق التطبيع الحضاري بين الكورد والعرب لجعل لحمة الآصرة الخضراء بينهما متينة وقائمة على الإحترام والإعتراف المتبادل لا على الاسلاك المكهربة للظنون والشكوك والاتهامات المتبادلة.

والجميل في قائمة الشخصيات المشمولة بالتكريم انها متنوعة تتوزع على مشارب فكرية وسياسية مختلفة، ولكل اسم في القائمة ذكرى جميلة وعطرة ومؤثرة في ذاكرة الإنسان الكوردي.

لايمكن مثلاً أن نهيل التراب على وقفة السيد محسن الحكيم وهو على رأس المرجعية

الشيعية في العراق حين رفض عام ١٩٦٣ وفي أشد الأيام حلكةً وسواداً أن يستكين أو يرضخ لموجبات القانون رقم (١٣) السيء الصيت والذكر القاضي حينذاك بمطاردة الكورد وقتلهم والفتوى ضدهم، بل انه رفض مشاركة الشيعة في القتال ضد الكورد، وهنا أسس الحكيم لعلاقة صلبة بين الشعبين العربي والكوردي في العراق ظلت تعطي اكلها وثمارها ولم تستطع الحكومة المركزية فصم عرى هذه العلاقة، رغم كل معاول الهدم والتدمير التي اعملتها لإحداث الشرخ وتعميق الجراح، فالذين هُجِّروا قسراً الى جنوب العراق من الكورد بعد نكسة ثورة أيلول ١٩٧٥ عادوا فيما بعد الى مواطنهم الاصلية وقلوبهم تقطر حباً ووداً لإخوانهم عرب الجنوب الذين عاملوهم بالحسنى واجهضوا مرامي التهجير والترحيل التي كانت تهدف أساساً الى دق اسفين بين الجانبين العربي والكوردي ودفعهما الى التناحر والخصام بدلاً من التصالح والوئام.

أما عزيز شريف السياسي والوزير ورجل السلام وعضو مجلس السلم العالمي، فقد كان دائماً كما الحمامة التي تحمل غصن الزيتون ولم يتخندق يوماً في صف القتال والدعوات التحريضية وكان من القلة التي وضع فيها البارزاني الراحل ثقته التامة ابان جولات التفاوض بين الحركة الكوردية والحكومة المركزية، ولو تسنى لرجال مثله ومثل كامل الجادرجي أن يمسكوا بمقاليد الحكم في العراق لكان مجمل تطور الحركة الوطنية والديمقراطية العراقية انعطف جذرياً نحو بناء العراق الديمقراطي الذي يحتضن بكل محبة كافة تلاوينه المجتمعية السياسية والفكرية والقومية والدينية ودفعها الى مشارف التنمية والتطور والبناء.

اما الشاعر العربي الاكبر الجواهري، والذي لاأجد في جعبتي وصفاً له أكثر من كونه ثالث الرافدين وثامنة المعلقات، فيكفيه انه ظل سكيناً حادة في خاصرة المستعمر ومن ثم في خاصرة الدكتاتورية وعانى من الغربة والنفي الى حد أنه لم يملك حق قبر في وطنه الجميل، الذي يعتبر الجواهري أحد أهم معالم الجمال على تقاسيم وجهه وأكثر التضاريس اخضراراً على اديمه، واذا كانت مقبرة السيدة زينب تستضيفه الى الابد فإن بيته الحقيقي هي الذاكرة الجمعية العراقية، والكورد إذ يكرمونه ويستعدون الآن لإقامة مهرجان خاص به فإنما يحيونه من جديد، ولكن ألم يقل الشاعر العربي الكبير الراحل نزار قباني في رثائه الجميل للجواهري إنه سيقوم مجدداً في القرن الحادي والعشرين؟

رحل الجواهري وهو يعتمر طاقية الرأس المنقوشة بكلمة كوردستان وكأنه يود أن يترجم كل لحظة حبه للكورد وتضامنه معه وذوبانه في آلامهم وتوقه لتحقيق احلامهم وآمالهم، اليس هو الذي وصف الشاعر الكوردي فائق بيكه س الذي كان مثله يقارع

الإستعمار البريطاني بأنه: "الجميع وأنه الاحد"، حيث أن كلمة (بيكه س) في الكوردية تعني الوحيد ومن لاصديق له، فيطمئنه الجواهري بأنه معه وان رسالتهما في الحياة واحدة.

في العام ١٩٧٠ وبعد التوقيع على اتفاقية ١١ آذار كانت فرحة الجواهري اوسع من أن تسعها الدنيا فكتب لأجل السلام قصيدة في (١٢٥) بيتاً هي واحدة من خيرة روائعه لما فيها من قوة ايحائية وخيال جموح وصور فائقة الجمال ولكونها ذات طابع تحريضي على الخير والحق والجمال والسلام والوحدة الوطنية، ويقول مطلعها:

حلم تحدّر من وراء حجـــاب   غضر الترائب مثقل الأهداب
حلم تحـدّر سلســـلاً ومظنتي   إن الطيوف تعنّ لمـح سراب

ويعرّج على الرمز النضالي الكوردي البارزاني الخالد فيصفه كالآتي:

جاذبت من صقر الشـــمال وإنه   بالعزِّ أمنـــعُ من مطارِ عقـاب
عجمت قناه الاربعون يخوضها   كالحوت يمرق في خـــضم عباب
عملاق جن في الحروب ودعـلج   في السلم يحمي الجلد بالنشاب

وفي العام ١٩٩١ حين شاهدته في المؤتمر الاول للمعارضة العراقية طار قلبي فرحاً ورحت اردد اجمل ابياته المنسوجة من احلى خيوط الوفاء والحب اللامتناهي، حين يقول:

قلبي لكوردستان يهدى والفمُ   ولقد يجود بأصغريه المُعدَمُ

فالأصغران في العربية هما الكناية عن القلب واللسان، والمعدم أو الفقير في هذه الحياة لايملك إلاّ قلباً يخفق ولساناً يعبر عن الحق، وهو -الجواهري- يهديهما الى كوردستان والشعب الكوردي، فهل ثمة كرم ابلغ عطاءً من ذلك؟

إن الإدارة الإقليمية الكوردية متواصلة مع ماضيها، لذا فأنها لاتستشف من هذا الماضي عناصر الثأر والانتقام، بل تأخذ منه أجمل مافيه للبناء عليه ولبقاء التجربة الكوردية منفتحة على الذات وغير منغلقة ومنطوية، ومتصالحة ومتسامحة وغير ثأرية، ومتزنة ومتوازنة في علاقاتها مع المحيط الجيو-سياسي، ومتوجهة حثيثاً لتطويع العامل الذاتي القابل للتغيير مع العامل الموضوعي العصي على التغيير والتبدل.

وهذا التوجه العقلاني هو الذي جعل التجربة الكوردية تجتذب نخبة من خيرة مثقفي العرب لزيارة كوردستان والإطلاع على بوادر التنمية والنهوض فيها، وايضاً وهذا هو المهم لإزالة ما علق بأذهان العديد من الكتاب والإعلاميين العرب من شوائب وآراء ارتجالية سيقت دونما دراية ضد الكورد وتجربتهم في الإدارة، فهذا رجائي الفايد الكاتب

المصري مؤلف كتاب (أربيل١٩٨٨ - هه ولير١٩٩٩) يسمي التجربة الكوردية رائعة، لاسيما وانه زار كوردستان في العهدين، اي إبان السيطرة المركزية ومن ثم العام المنصرم، وهو يدعو الى احياء رواق الكورد في الجامع الازهر وتخصيص مقاعد دراسية للطلبة الكورد في الجامعات المصرية واقامة أسابيع ثقافية وفنية كوردية في القاهرة، ويذكر في هذا السياق أن جامعة عين شمس فتحت قسماً لدراسة اللغة والآداب الكوردية.

اما الكاتبة الكويتية ليلى العثمان المتميزة بكتاباتها القصصية الرائعة وبفرادة أسلوبها والتي زارت كوردستان هذا العام فانها تدعو لإستحداث مؤسسة مشتركة تواظب على نشر وترجمة النتاجات الكوردية والعربية، لأنها ترى بحق أن الترجمة قناة ضرورية لابد منها لتعريف الشعب الكوردي وتراثه وتطلعاته، وقد كتبت مؤخراً مقالات في (القبس) الكويتية بعنوان (أيام في كوردستان) سبقها الكاتب كريم مروة في كتابة مشاهداته في كوردستان في جريدة (الحياة) اللندنية.

اما الصحفي المصري نبيل زكي رئيس تحرير جريدة (الأهالي) فيقول: "ثمة اجماع عربي على الإعتراف بالحقوق القومية للشعب الكوردي". في حين يصرح الكاتب مصطفى الحسيني وهو الآخر مصري زار كوردستان بأن: "النظرة الواقعية للأخ مسعود البارزاني كانت مصدر اطمئنان لنا" ويضيف: "أؤيد شعار الفدرالية كحق لإخواننا الكورد في إختيار صيغة الحكم". هذا غيض من سيل الإنطباعات الإيجابية التي يخرج بها الكتاب والنخبة الفكرية العربية التي تجتذبها التجربة الكوردية، وهي بلاشك اصوات مؤثرة واقلام مرجعية لجهة الابداع والفكر تتكاثر كل يوم لتصبح جسوراً غير قابلة للأنكسار والهدم باتجاه جعل العلاقة الكوردية العربية صرحاً يتجاوز كل التراكمات الموبوءة التي افرزتها اقلام مؤدلجة سابقاً، وللتوجه بثبات وخطى محكمة نحو البناء والتنمية الشاملة في عصر العولمة وحقوق الإنسان والعنوان المرجعي في حياتنا الذي جرى تغييبه قسراً ونعني به الديمقراطية التي تهرأت كل التعريفات والتخريجات التي اعطيت لها لتبقى هي كما وردت اصلاً وبمعنى وتعريف واحد هو إحترام التعددية وبناء المجتمعات على أساس التنوع وليس بناءً على الوحدة القسرية التي تغتال خيارات الفكر والعيش والابداع.

فلتكن الديمقراطية صلة الوصل الكوردية بالآخرين.

***

كتاب جديد للباحثة الألمانية سوزانا شميت

كورد بجنسية ألمانية

نُشر في برايەتی و خەبات ١٥/١٠/٢٠٠٠

بعد كتابها "ان تكون كردياً أو لاتكون" الذي تمحور حول موجبات ومسوِّغات الإعتراف القانوني بالجالية الكوردية في ألمانيا وفي عموم اوروبا وما يستوجبه ذلك من اتباع سياسة تربوية وثقافية خاصة بالكورد تعتمد على انتمائهم القومي واللغوي الخاص، لاعلى حقيقة توزعهم الجغرافي على الدول التي تقتسم الشعب الكوردي. نقول بعد هذا الكتاب واصلت الباحثة الألمانية الآنفة الذكر ابحاثها الميدانية في هذا المضمار بتكليف من مركز الدراسات الكوردية في ألمانيا واصدرت هذا العام كتاباً جديداً يتعرض هو الآخر الى اشكاليات الهوية والإنتماء والتوزع الثقافي والنفسي والتربوي لجيل الشباب الكوردي المتجنس أو المقبل على التجنس في ألمانيا، وعنوان الكتاب هو (كورد بجنسية ألمانية).

يقع الكتاب في (١٥٥) صفحة ومادته عبارة عن مقابلات مع (٣٥٠) من الشبان الكورد قاموا بملء استمارة تضم (٩٥) سؤالاً تفصيلياً تتوزع على محاور عدة هي، مدى توفر الشروط الشكلية والبيئة الإجتماعية لإندماج هؤلاء الشباب في المجتمع الألماني، وكيف يساهم الشباب الكوردي في معالم الحياة الإجتماعية ودرجة تكيفهم مع مجتمع دولة الاقامة، وما هي العوامل التي تؤدي الى القرب أو الإبتعاد عن الثقافة - الاصل أو الثقافة القومية، وكيف تتبلور علاقات الشباب الكوردي داخل العائلة ومع الوسط الألماني وكيفية قضاء اوقات الفراغ. واضافة الى هذه المقابلات الغنية بالمعلومات المشتقة من صميم الحياة اليومية ومن معايشة الشباب الكوردي للواقع في دولة التجنس والاقامة، فان الكتاب يحتوي على ثبت بالمراجع من كتب وابحاث ودراسات يضم (١٤٢) عنواناً.

في المقدمة التي كتبتها للكتاب مفوضة شؤون الاجانب في ألمانيا الإتحادية (ماري لويزا بيك) ورد أن الكورد مازال ينظر اليهم في المجتمع الألماني كما لو كانوا "ايتام العالم وفق ما كان يردده الزعيم الكوردي الراحل البارزاني، ولكن المشهد تطور وتغير الآن، فهم -اي الكورد- ايضاً ضحايا القمع السياسي في بلدانهم ولاجئون يقيمون بين ظهرانينا، وفي مقابل هذه الصورة هناك الكورد من انصار حزب العمال الكوردستاني الذين اجتذبوا بأعمالهم العنيفة أنظار الرأي العام الألماني، واساؤا ليس فقط الى صورة

الكورد اللاجئين في ألمانيا، بل واسفرت أعمالهم عن تعطيل الجهد والعمل الموجه لمعالجة مسائل حيوية ومحددة فيما يخص الظروف الحياتية لهؤلاء اللاجئين". يذكر أن الأعمال اللامسؤولة لحزب العمال والتي تزايدت بشكل ملحوظ في ألمانيا في العقد الماضي جعلت وزير الداخلية في حينه (كانتر) يصدر قرارا بمنع نشاط هذا الحزب و(٣٥) من منظمات الواجهة، وذلك عام ١٩٩٣ وفي عام ١٩٩٤ وابان اعياد (نوروز) لجأ انصار حزب العمال الى عمليات سد الطرق السريعة ومحاصرتها وهي ما سميت بالألمانية (Autobahn Blokade).

وتقول المؤلفة أن هذه الأحداث المؤسفة التي وصلت الى حد وقوع ضحايا، ومن ثم صورة الشرطي الألماني المدمّى الوجه اثر ضربه من قبل الكورد، في الصحافة الألمانية، ألهبت مشاعر الألمان وغدت كلمات مثل الإرهاب والعنف تلحق بالكورد لتساهم في بلورة مشهد سيء وصورة سلبية عن الإنسان الكوردي. واضافة الى مجمل ما اثاره حزب العمال من ضجة اعادت القضية الكوردية الى الواجهة في الإعلام الألماني وان كان بشكل سلبي، فان (سوزانا شميت) تؤشر في كتابها الى منعطفين كان لهما تاثير ايجابي على الراي العام الألماني ورفع درجة تضامنه مع الشعب الكوردي وهمومه، هما فاجعة حلبجه عام ١٩٨٨ والنزوح المليوني وتقول بهذا الصدد "ان قصف حلبچه بالسلاح الكيمياوي في ١٦/٣/١٩٨٨ نبه الرأي العام العالمي الى حملة التدمير والإبادة التي مارسها النظام العراقي". وكذلك عمّق صورة الكوردي-الضحية في الإعلام وفي اذهان الرأي العام الألماني.

وتشير الكاتبة انه في الوقت الذي ادت الأعمال اللاقانونية لحزب العمال الكوردستاني الى ابتعاد ونفور قسم كبير من الشباب الكوردي من هذا الحزب، الا انها بالمقابل هزت لديهم شعوراً عاماً باللاعدالة فيما يخص عموم وضع الكورد في العالم وردت اليهم رغبة اكتشاف الجذور، فمساويء حزب العمال واخطائه لم تستطع التغطية على المشهد كاملاً وعلى حقيقة النضال الكوردي والمقاومة الكوردية في شتى ارجاء كوردستان من اجل اثبات الذات والهوية والحقوق المشروعة، وقد ساهمت الصحافة الألمانية في نقل مستجدات الاحداث في الساحات الكوردية الاصلية الى الرأي العام، ماأسفر عن مشاركة قطاعات اكبر في التضامن مع المصير الكوردي.

تصل الكاتبة الألمانية في كتابها الجديد الى خلاصة مفادها أن الاندماج الشكلي للشباب الكوردي في المجتمع الألماني من خلال الحصول على شهادة الجنسية لايعني بالضرورة الانصهار الروحي والوجداني الكلي في عناصر وطريقة حياة هذا المجتمع، دون

أن يفهم من ذلك طبعاً أن الشباب الكوردي لايتقبل صيغ وعادات وتقاليد وطريقة الحياة الألمانية، فهم اذ يتكيفون معها ويندمجون بها، الا انهم في معرض الاجابة على السؤال التقليدي عن اصلهم يرددون إنتماءهم الكوردي، كما أن قلة من الفتيات الكورديات من حملة الجنسية الألمانية يقبلن الزواج من الشباب الألماني بحكم العادات التي مازالت قوية ومستحكمة في صلب العائلة، ورغم التجنس فان الشباب الكوردي مازال يستعمل في حياته اليومية أكثر من لغة واحدة للتخاطب هي الألمانية والكوردية والتركية فيما يخص كورد تركيا، والألمانية والكوردية بالنسبة للمنحدرين من كوردستان العراق وسوريا. إن الكاتبة سوزانا شميت رسمت في هذا الكتاب كما في كتابها السابق معالم طريق جديد في كيفية تعامل الوسط الأكاديمي الاوروبي مع الشؤون الكوردية ومع هموم جالية كردية موزعة في الشتات الاوروبي بحثاً عن الحرية والعمل، ولكن ايضاً من اجل صيانة الهوية والذات من الضياع ومواصلة الفعل المقاوم.

***

في ظل السلام يزدهر ربيع الثقافة في كوردستان العراق

نُشر في "مئوية الجواهري"

ونُشر في "الزمان" تحت عنوان آخر

المشهد الثقافي الحالي في كوردستان العراق يحمل بين طياته الكثير من الدلالات الواعدة، التي تنبئ بالخير والعطاء وبإنعطاف تغييري في واقع الثقافة الكوردية التي لاقت من التقزيم والتهميش والتنكر ما جعلها تنوء تحت ثقل اشكاليات مزمنة. واحدى هذه الاشكاليات هي فقدان وضياع كمّ كبير من كنوز التراث الادبي والفني المدون والشفهي، إما بفعل السياسات القمعية التي طبقت تجاه الكورد عموماً ولحقب طويلة، أو بفعل عوادي الزمن، لاسيما وان الساحة الثقافية الكوردية افتقدت لغاية انبثاق التجربة الديمقراطية في كوردستان العراق الى مؤسسات مقتدرة مادياً ومعنوياً لتتعهد الثقافة الكوردية بالرعاية اللازمة، هذا اذا استثنينا فترة ١٩٧٠-١٩٧٤ التي كانت حقبة قصيرة ولكن مزدهرة.

ولكن الحال تختلف في الوقت الحاضر وثمة نهوض ثقافي متعدد الاوجه يجد كافة عوامل نجاحه وفي مقدمتها الحرية، أي حرية المثقف الكوردي في العطاء والابداع والنشر، والواقع أن حركة التاليف تطورت بوتيرة سريعة في ظل الدعم الذي توفره الحكومة الإقليمية ويجري تمويل طبع عشرات الكتب الجادة للمؤلفين والكتاب الكورد

والذين لايمكنهم بدون دعم الإدارة الكوردية اخراج أفكارهم الى النور.

ومنذ العام ١٩٩٥ دشنت سلطات الإقليم ظاهرة ستترك بصماتها على تطور الوضع الثقافي وتغذيه بمزيد من الفاعلية والقدرة على التأثير والحضور، ونعني بها احياء ذكرى رواد الفكر والادب والشعر والفن وعقد مهرجانات لهذا الغرض تؤدي الى انتعاش العطاء الثقافي وخلق ارضية لتواصل المثقفين وخلق حالة من التطبيع بين المثقفين الكورد تتجاوز الخنادق السياسية وترمم الجسور بين منتجي الثقافة مما يفضي لامحالة الى خدمة السلام والإستقرار وابراز الوجه الحضاري الديمقراطي للتجربة الكوردية ليغطي ولو نسبياً على ما افرزه التناحر الداخلي من نتوءات شوهت وجه التجربة، وتزداد ظاهرة احياء رواد الابداع دلالة لانها لاتقتصر فقط على الكورد، بل وتتسع برحابة صدر لاصدقاء الشعب الكوردي والاستعدادات التي تجري حالياً لعقد مهرجان مئوية الجواهري العظيم يوم ٢٠٠٠/١٠/٢٣ دليل على ما نقول.

قبل خمسة اعوام جرى عقد مهرجان حاشد ضم المثقفين الكورد من شتى مدن كوردستان ومن مختلف المشارب السياسية للاحتفاء بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على صدور ملحمة (مەم وزين) للشاعر الكوردي الخالد (احمدي خاني) وقدمت دراسات واقيمت ندوات قيّمت انتاج هذا الشاعر الكبير ودوره في التوعية القومية والمعاني والقيم التي احتوتها قصته الشعرية (مەم وزين)، التي مازالت لغاية اليوم اشهر عمل ابداعي بين الكورد.

ويعتبر كتاب د. عزالدين مصطفى رسول بعنوان (احمدي خاني شاعراً وإنساناً) احد خيرة الكتب التي صدرت عن حياة هذا الشاعر وأفكاره وآرائه ويتضمن تحليلاً لملحمته الشعرية من النواحي الفنية والبنائية والفكرية، ومن حسن الحظ أن ضريح شخصيتي الملحمة وهما (زين) و(مه م) العاشقين مازال باقياً يؤجج لواعج الذكرى في الإنسان كلما مر بمنطقة (الجزيرة) في كوردستان تركيا في الطريق الى كوردستان العراق.

لقد اسس هذا المهرجان النوعي عن (احمدي خاني) لحالة جديدة وافرز لدى المثقفين الكورد الرغبة والنزعة لمواصلتها. وهكذا ففي الفترة من ١٨-٢٠٠٠/٩/٢١ تداعى المثقفون والكتاب والشعراء الكورد من شتى الأنحاء لعقد مهرجان الشاعر الكوردي المبدع (ملا احمد الجزيري) الذي ولد عام ١٥٦٨ في منطقة جزيرة بوتان ووافته المنية عام ١٦٤٠ وبقي ديوانه الحافل بالشاعرية الرقيقة وبمستوى رفيع من الغنائية والرومانسية والجمالية محتفظا بقوته ونضارته وتأثيره وقدرته على الابهار واجتذاب الروح والقلب لغاية يومنا هذا رغم مرور (٤٠٠) عام عليه، وهو قياساً الى شعراء كورد

آخرين محظوظ لأن ديوانه الكبير جرى شرحه من حيث المبنى والمعنى وبشكل مفصل من قبل (ملا احمد زفنكى) وكتب عنه علاء الدين سجادي وصادق بهاء الدين وآخرون.

وصدر عنه هذا العام كتاب بعنوان (فلسفة العشق الالهي في شعر الجزيري) في (٢١٢) صفحة للمؤلف محمد امين الدوسكي الذي توسل بالمنهج التحليلي الوصفي في التعامل مع التوجهات الصوفية الواردة في شعر الجزيري حيث يصفه الكاتب بكونه متصوف اهتيامي ويعرف الهيام بانه (تعلق روحي شديد بالمحبوب مع بقاء الحرمان من ادنى اتصال جسدي أو علاقة مادية، سواءً كان ذلك لأسباب خارجية كالظروف الإجتماعية القاهرة أو لأسباب داخلية في ذات المحب تفرضها طبيعة المبدأ أو المعتقد، وفي كلتا الحالتين هو: البقاء على علاقة تجريدية بحتة تعتمد على الهمسات واللمسات الروحية، لذلك يكتب لهذا النوع من الحب الخلود والبقاء). وهذا الاهتيام والذوبان في الجمال المطلق يمتد بجذوره الى الافلاطونية.

مهما يكن من امر فان هذا المهرجان الادبي عن شخصية الجزيري انعش النقاشات الغنية وطرح أسئلة كثيرة تشعبت عنها الاجابات، وتنوعت الاجتهادات فيما يخص الطابع الأساسي لهذا الشاعر العملاق الذي يعتبر ديوانه اقدم ديوان شعر كوردي وصلنا، اذ أن ديوان الشاعر (علي حريري) ضاع ولم يعثر له لحد الآن على اثر. وقد اجمع المتحدثون في المهرجان أن الجزيري اكبر شاعر كلاسيكي كوردي لجهة الشفافية الشعرية واناقة الكلمة والجملة الشعرية والموسيقى والايقاع الداخلي، واشعاره الرقيقة مازالت على كل لسان، لما فيها من رومانسية عابقة وجمالية حبلى بالانبهار وعناصر الفجاءة والاندهاش، وتلك لعمري هي الخاصية الأساسية والعنصر الذي لابد أن يتوفر في الشعر بغية تمييزه عن فنون الادب الأخرى، فالشعر كما قال (ارسطو) هو الحق والخير والجمال، ولايمكن لعنصري الحق والخير، أي المعنى والمحتوى، أن يخلقا شعراً اذا لم يرتديا ثوب الجمال.

وكان البحث الذي قدمه الكاتب (رشيد فندي) بعنوان (الوعي القومي في شعر الجزيري) ملفتاً فهذا الشاعر كتب بالكوردية رغم سيادة اللغات العربية والتركية والفارسية في عصره ورغم تضلعه في جميع هذه اللغات، وكان اول من استخدم كلمة كوردستان في شعره قائلاً (انني مصباح ليل كوردستان)، وكتب واحدة من خيرة قصائده في مدح (امير شرف) امير امارة بوتان الكوردية بعنوان (ياملك الملوك المعظم)، وفي مقطع شعري اخر يحرض الجزيري الكورد وقبل اربعة عصور من الزمن لقراءة شعره بدل شعر (الشيرازي) الفارسي أن ارادوا الاغتراف من لآلئ الشعر.

إن اجواء الشعر والادب هذه حرضت في المبدعين الكورد رغبة الانتقال الى الماضي القريب والتجوال بين كنوز مبدع آخر... ولكن في مضمار الموسيقى والغناء وخاصة المقام الكوردي وهو (علي مردان) الذي ولد عام ١٩٠٤ في مدينة كركوك وغادر الحياة الدنيا يوم ١٩٨١/٧/٢٤، وقال عنه رائد المقام العراقي القبانجي انه "استاذ في فن المقام"، اما الراحل يوسف عمر فوصفه بـ(ابي المقام)، الذي كنا على موعد لاحياء ذكراه يوم ٢٠٠٠/١٠/١٦ حيث احتشدت نخبة الفكر والادب والفن في حديقة فندق (چوار چرا = المشاعل الاربعة).

تضمن برنامج هذه الفعالية الشيقة ازاحة الستار عن تمثال للفنان الراحل علي مردان، ومعرضاً لارشيفه ومتعلقاته الشخصية التي احتفظ بها نجله (عبدالقادر علي مردان) وكلمات تقديرية، كما عرض فلم عن حياته، وتم اداء بعض اغنياته ومقاماته من قبل فنانين كورد. وكانت كلمة السيد احمد سالار نقيب الفنانين الكورد معبرة ومؤثرة في الحضور حيث قال "من مدينة النار الازلية نهض علي مردان وتعالت الالحان والانغام وتراكمت على هيئة جبل ضم العشق كله وجعله باقة ورد"، واثنى على هذه الفعالية الثقافية التي حققت حلم الشاعر الكوردي المجدد (گوران) في أن الابداع وجد الآن من يرعاه.

وكما (محمد عارف جزراوي) الذي وصف ذات يوم بهدية السماء الى الوسط الغنائي الكوردي و(حسن زيرك) الذائع الصيت لم يتدرج علي مردان في التحصيل العلمي الأكاديمي، ولكن فطرته وموهبته كانت في اوجها ليصبح ليس فناناً فحسب، بل واستاذاً في الفن الكوردي. لقد تتلمذ على يده الكثيرون من الفنانين الكورد بينهم الفنانة الراحلة (نسرين شيروان) و(باكوري) و(خليل وندي) وآخرون.

في العام ١٩٣٢ شارك علي مردان في أول مهرجان فني في القاهرة. وفي العام ١٩٤٨ غنى بالكوردية في اذاعتي لبنان والاردن وزار فلسطين إبان الحرب وقدم هناك اناشيد وطنية معلناً عن تضامنه مع شقيقه الفلسطيني.

سجل مردان في الاذاعة الكوردية في بغداد نحو (٨٠٠) اغنية كانت آخرها عام ١٩٧١، وكل كنوزه الفنية تنتمي للفن الاصيل والملتزم بالتراث الغنائي الكوردي الكلاسيكي، وكان يحتفظ دوماً في جيبه بدفتر اشعار يضم مقتطفات من قصائد الشعراء الكورد المبدعين مثل (مولوي- سالم- نالي- بيكەس- كوردي وآخرين). إن اغانيه التي طبعت في كتاب بجزءين بعنوان (اغنياتي) هي في الواقع احتراق لوجه الحبيبة وتجسيد لجمال الفتاة الكوردية وترجمة للوعة الفراق ولذة الوصال، ولكنها في

ذات الوقت حب اصيل للوطن وامنية انتصار للشعب الكوردي منذ اول اغنية له في ١٩٣٩/١١/٢٩ ولغاية انطفاء نور الحياة في عينيه.

الصحفي محمود زامدار عاد بنا الى ذكريات جميلة عن الفنان الراحل وقدم مقتطفات من حوار صحفي كان اجراه معه ولم يره الراحل لأن المنية عاجلته، ودعا زامدار وآخرون بحق لإعادة تقييم هذا الفنان الريادي الحاصل على عدة جوائز عالمية بينها جائزة تقديرية عام ١٩٧٧ بمناسبة يوم الموسيقى العالمي.

ولعل تقديره يكون بجمع تراثه واحيائه بشكل عصري وفتح دار للمقامات باسمه، الذي يبقى ضمن الاسماء التي حفرت للاوتار الكوردية مجراها الخاص وحفظت اللحن الكوردي من الضياع، فـ(علي مردان) كان في أوائل السبعينات اول من دعا لعقد مؤتمر فني حول الموسيقى الكوردية. واذ أخط هذه الكلمات على وقع اغنية (فاطمة) الشهيرة للفنان علي مردان والتي وضع كلماتها الشاعر الكوردي المعروف (احمد هەردى) المقيم حالياً في لندن، فانني اضم صوتي الى كل الاصوات التي دعت خلال حفل التكريم لتقديم مبادرات أخرى تفي هذا الفنان حقه وتجعل لضريحه ولذكراه نفس الحضور الذي تتمتع به اغانيه في الوجدان فهو بحاجة الى إهتمام اكبر من الاوساط المعنية.

وبينما كانت الفنانة (ئالان عمر) تؤدي في ختام الحفل أغنية (كتان كتانه) الجميلة لـ(علي مردان) جنح خيالي الى اللحظات القادمة التي سترش القلب حنيناً وتوقد في الذاكرة شمعة حب أخرى.

ففي ٢٠٠٠/١٠/٢٣ ستحتضن مدينة أربيل نخبة خيرة من رواد الفكر والابداع والشعر العرب لاحياء مئوية الجواهري العظيم، وسيزاح الستار عن تمثاله الذي ستحف به القلوب قبل الايادي في كوردستان ليصبح هذا الشاعر الذي امتد به العمر قرابة القرن شجرة باسقة وارفة الغصون تحيي في الإنسان الكوردي حرارة الاشعار التي اجترحتها مخيلته المعطاء انتصاراً للحق... وليصبح الجواهري احد اجمل جسور التواصل والتفاهم بين العرب والكورد.

وإذ ردد الجواهري:

بارزان يا لغزاً تعاصى حلّه   عبر القرون الغبر فهو مطلسم

فإننا نبشر شاعرنا بأن بارزان عصية حقاً على الرضوخ للأعداء وهي فعلاً طلسم استعصى حله على الذين حاولوا إلغاءها من الخارطة السياسية... ولكن بارزان وكل كوردستان ستبقى لذكرى الجواهري، وغيره ممن ناصروا الشعب الكوردي، مشرعة الأبواب وتفتح ذراعيها على اوسع ما يكون لتمنح كل الحب والوفاء لاقلام حرة رفضت

أن تركع لسياط القمع والتنكيل وكانت وستظل منابت للحرية، الم يقل الشاعر العراقي الراحل عبدالوهاب البياتي قبل اربعة أيام من رحيله:

شرف الإنسان ألاّ يموت راكعاً منسحقاً مهان

وان يعيش في خطوط النار منتصراً وإن حاقت به الهزيمة.

فأهلاً بمئوية الجواهري في كوردستان المسكونة بالشوق الابدي للحرية والانعتاق.

***

ماتت المناصفة... ولم تمت الإدارة الكوردية

في عددها ليوم ٢٨/١٠/٢٠٠٠ نشرت جريدة "الحياة" تصريحات للسيد مسعود البارزاني حول الجولة التي يقوم بها حالياً في أوروبا وآخر مستجدات العملية السلمية في كوردستان العراق.

والملفت للنظر أن الصحيفة نشرت وبالعنوان العريض قولاً نسب الى البارزاني مفاده أن "الإدارة الكوردية مـاتت" وهذا مناقض تمامـاً للفكرة التي اراد الزعـيم الكوردي ايصالها الى القاريء.

فالذي يقرأ متن التصريح سيجد أن الصحيفة وبهذا العنوان المثير اخرجت كلام البارزاني من سياقه واجتزأته ووضعته في غير محله وبذلك تغير مؤداه من النقيض الى النقيض.

فالإدارة لم تمت وهي قائمة وفاعلة وتدير شؤون الإقليم بشكل وافي بإعتراف سكان الإقليم الكوردي واصدقاء التجربة آفاقاً جديدة ومتزايدة للتنمية وسيادة القانون وتقديم مبادرات على طريق تفعيل المسيرة السلمية، والحكومة الإقليمية الرابعة التي يرأسها السيد نيچيرڤان البارزاني ماضية في تنفيذ برنامجها المؤلف من (١٥) بنداً مفصلياً يشمل جوانب العمل السياسي والإقتصادي والإجتماعي والتنموي والثقافي والتربوي تحت شعار محوري هو تجذير مبدأ سيادة القانون وبناء المجتمع المدني في ظل الأمن والإستقرار وتنمية علاقات حسنة مع المحيط الإقليمي.

فالصحيح أن المناصفة هي التي ماتت، وتبعاً لذلك فان الإدارة التي كانت قائمة على مبدأ المناصفة فشلت في اداء مهامها في إدارة الإقليم بالشكل المنشود، لأن القرار السياسي والإداري لم يكن يملك مرجعية واحدة ملزمة، وهذا بالضبط مايقصده السيد مسعود البارزاني، الذي يقوم بجولة أوروبية وعربية تهدف الى تنمية علاقات جديدة

للتجربة الكوردية وللادارة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني. وكان البارزاني قد اعلن خلال مقابلاته الصحيفة ومن ثم في مقابلتيه مع قناة (mbc) الفضائية ومع الـ(BBC) القسم العربي قبول الإقتراح البريطاني الأخير للخروج من المراوحة ومن نفق الازمة وتفعيل تنفيذ كافة بنود إتفاقية واشنطن للسلام المبرمة عام ١٩٩٨ بين الحزبين الكورديين الكبيرين. وهذا هو صلب مايعنيه مسعود البارزاني حين يقول في تصريحاته للحياة "نريد العودة الى نتائج إنتخابات عام ١٩٩٢" وفق ماتنص إتفاقية واشنطن وهذا بديل المناصفة التي افرزت فعلاً إدارة ميتة في حينه. نعتقد انه كان على صحيفتكم قراءة متن التصريح بروية قبل وضع عنوان له لايتفق مع محتواه ومضمونه.

***

على هامش مئوية الجواهري في كوردستان العراق
موت القامات الشعرية واطولها الجواهري... موت مجازي

خەبات ٢٠٠٠/١١/٣

لايمكن للموت الا أن يكون مجازياً بالنسبة للقامات الشعرية المبدعة التي تنغرس ليس في كل مسامات ارض الوطن فحسب، بل وفي ثنايا الذاكرة الجمعية لتصبح جزءً لايتجزأ من تضاريس الارض نفسها، هذا هو حال الجواهري والبياتي وبلند الحيدري وگوران وپيره ميرد وغيرهم من عمالقة الكلمة الطيبة التي تحرض وتقاوم وتبهر وتحترق كما الشمعة لأجل الآخرين وفق منطق الشاعر التركي العظيم (ناظم حكمت).

لذا فحين نتذكر هذه الاسماء المبدعة لايعني ذلك أن الذاكرة قد خلت من اثرهم الوجداني في النفس، بل لإعادة تفعيل هذا الاثر واستقاء المزيد من الدلالات الاضافية ولجعل حضورهم فينا ومعنا اقوى، رغم أن اضرحة الكثيرين منهم موزعة في الشتات والمنفى مثلما كانوا هم في حياتهم.

هذا هو بلند الحيدري الذي مازلت اتذكر حرارة اللقاء به مرات عديدة في لندن ومن ثم آخر مرة في مدينة ليماسول القبرصية عام ١٩٩٤ اثناء حضورنا الى مؤتمر هموم الاقليات وألقى هناك قصيدة جميلة يقول مقطع منها:

عندي عشر هويات... في بلد لايملك أي هوية

وحينها غنى معه الشاعر الفلسطيني توفيق زياد لاطفال الحجارة فضجت القاعة بالتصفيق لسفيري الهموم العراقية بما فيها الكوردية، والفلسطينية.

وفي طريق العودة الى لندن كنا معاً في الطائرة فعبر بلند الحيدري عن رغبته في زيارة كوردستان، ولكن المنية عاجلته قبل أن تكتحل عيونه بهذا اللقاء وكان السؤال الأكثر الحاحاً علينا جميعاً هو اين ندفن هذا الشاعر، وكان هذا السؤال ايضاً هو عنوان مقالي الذي نشرته كرثاء له في جريدة "القدس العربي"، بعد أن رحل دون أن يحظى بقبر في وطنه.

وعبدالوهاب البياتي هو الآخر رحل حاملاً سيرته الذاتية لسارق النار، واباريقه المهشمة، وقصائده التي علقها على بوابات العالم السبع، ورحل وهو يحتضن "بستان عائشة" على نهر الخابور ويحمل كل الوفاء والحب الذي اعلنه لـ(گوران) و(يلماز گوناي)، اقول رحل مجازياً الى مقبرة قرب (ابن عربي) في دمشق وبقي حقيقياً كقصيدة مقاومة مفعمة بالحياة في الذاكرة العراقية.

ولم يستثن الجواهري من هذه القاعدة، اي العيش في المنفى والحرمان من حق حيازة قبر في وطن كان الجواهري احد اوتاده، فعمر هذا الشاعر اكبر من عمر الدولة العراقية مثلما قال بحق الباحث العراقي فالح عبدالجبار، فالدولة العراقية الحديثة تشكلت قبل ثمانين عاماً وعمر الجواهري قارب القرن.

انتمى الجواهري الى كل التلاوين الإثنية والدينية والمذهبية العراقية ليصبح الجسر الواصل بينها ولم يتقوقع يوماً في شرنقة قومية أو دينية أو فكرية ضيقة الافق وظل يحمل حقيبة الهموم العراقية الى ارجاء العالم.

آخر مرة رأيت الجواهري بطاقيته الكوردية كان في ربيع ١٩٩١ حين كانت الانتفاضة المباركة في اوجها، وذلك اثناء المؤتمر الاول لقوى المعارضة العراقية في بيروت حينما ارتفع رنين صوته الحنون داعياً لتمتين الوحدة الوطنية اهتداءً ببيت شعره الجميل:

يعيا الجحيم بأن يسعِّر أمة   فاذا هي إختلفت فعودُ ثقابِ

رحل الجواهري الى مقبرة السيدة زينب في دمشق وهو كان ومازال وسيبقى يؤجج فينا رغبة الحب وعظمة المقاومة ويشعل في قلوبنا الشموع لثورة الفكر التي يصفها الجواهري بالقول:

لثورة الفكر تأريخ يحدثنا   بان الف مسيح دونه صُلبا

ويقول في قصيدة أخرى:

لغز الحياة وحيرة الألباب   أن يستحيل الفكر محض تراب

ولكننا نبشّر الجواهري العظيم أن فكره إذ يستحيل تراباً فهو تراب خصب ومنبت

لاشجار باسقة وارفة الاغصان ونسغها لن ينقطع في مد الحياة بمعان ودلالات غنية، وان ديوانه الشعري الذي تجاوز الـ(٢٥٠٠) صفحة سيظل سفراً نغترف منه الأمل والتطلع لعراق جميل تعود فيه دجلة اماً للبساتين.

وكانت الفترة من ٢٣/٢٦/ ١٩٠/ ٢٠٠٠ أيام بهيجة في كوردستان العراق التي اصبحت حافظة للاغاني والاشعار وقيم المقاومة التي تفضح الظلم اينما كان، في ظل مئوية الجواهري الذي اهدى اغلى ما لديه لكوردستان قائلاً:

قلبي لكوردستان يُهدى والفمُ   ولقد يجود بأصغريه المعدمُ

والآن عاد الجواهري الذي ظل يعتمر الطاقية الكوردية المنقوشة باسم كوردستان، الى واجهة الواجهة حيث يقف تمثاله البرونزي شامخاً أمام مبنى المجلس الوطني الكوردستاني في العاصمة الإقليمية (أربيل) وهو التمثال الذي صنعه الفنان العراقي المبدع (سليم عبدالله)، لقد كانت مئوية الجواهري في كوردستان العراق ذات أكثر من مغزى، حيث عبرت عن وفاء الشعب الكوردي لكل من وقف معهم ولو بكلمة طيبة في الأيام العصيبة والحالكة، كما افرزت المئوية آصرة جديدة خضراء بين الثقافتين العربية والكوردية لاسيما وان الضيوف قدموا من خمس دول عربية.

إن الشخصيات السبعين الذين احتضنتهم كوردستان العراق في الأيام الماضية دشنوا بالتعاون مع نخبة المثقفين الكورد عهداً جديداً من مفرداته التفاهم والوئام والتصالح بين العرب والكورد لتصبح اقلامهم حزمة واحدة من معاول البناء والتنمية في المنطقة.

ان الجواهري حبيب وصديق الكورد مثلما وصفه السيد نيچيرڤان البارزاني في كلمته أمام المهرجان، كان في حياته جسراً بين الثقافات والتلاوين العراقية، وفي مماته ظل يمثل نفس الجسر والآصرة التي تقوي لحمة العلاقة بين مكونات موزائيك المجتمع العراقي.

لقد وصف الجواهري الرمز التحرري الكوردي البارزاني الخالد قائلاً:

عملاق جنٍّ في الحروب ودعلج   في السلم يحمي الجلد بالنشاب

أما الكورد فقد اوقدوا خلال الأيام الماضية قلوبهم شموعاً أمام تمثاله الشامخ في أربيل مؤكدين أن موت ثالث الرافدين وثامنة المعلقات انما هو موت مجازي فهو باق ما بقيت الذاكرة العراقية.

***

عندما تتحلى الضحية بفضيلة التسامح

لا إستقرار في الأقليم إلا بالترابط بين العرب والكورد

الزمان ٢٠٠٠/١١/١٦

ميزة الكاتب المصري (رجائي فايد) انه زار كوردستان العراق في عهدين، حينما كانت خاضعة للسلطة المركزية بكل ما في هذا الخضوع من معاني القمع والتنكيل ومشاريع التصفية الجسدية والمعنوية لمقومات القومية الكوردية، ومن ثم في عهد الإدارة الكوردية بعد انسحاب الاجهزة المركزية من المنطقة وانبثاق التجربة الديمقراطية.

وميزته الثانية انه اذ جاء اول مرة الى المنطقة للعمل عام ١٩٧٩ فانه استثمر اقامته في التعرف على مختلف الشرائح الإجتماعية الكوردية وكون لنفسه صداقات مثمرة واحتك بالمواطنين وراقب الوضع بعيون كاتب وسجل الكثير من الملاحظات وانطبعت في ذهنه المشاهدات اليومية الميدانية التي تبلورت تباعاً لتكون لديه صورة شبه متكاملة عن حقيقة النضال الكوردي واحقيته وعقم اية محاولة أو نهج شوفيني لإلغاء شعب تواق للحرية وواع لذاته ولتطلعاته من الخارطة السياسية.

وربما كانت ميزته الثالثة، انه حين قدم أوائل السبعينيات الى كوردستان جاء محملاً بالفكر القومي العربي وبشيء من الاعجاب بما كان حزب البعث العراقي يمارسه لصهر القومية الكوردية ودمجها قسراً في بوتقة العروبة، ومع الزمن وبفعل المعايشة ونضوج التفكير العقلاني خرج من هذه الشرنقة الضيقة ليصبح صديقاً قريباً للكورد، بل وباحثاً في الشؤون الكوردية في مصر واصدر مؤلفاً بعنوان (المسألة الكوردية في تركيا والعراق) وكتاباً في (٢٢٦) صفحة بعنوان (هه ولير ٨٨ - أربيل ٩٩ حتى لاتضيع كوردستان) وحضر خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي للمشاركة في مئوية الجواهري.

والكتاب في مجمله تسجيل موفق للوضع في (أربيل) وكوردستان عموماً في عهد السلطة المركزية، ومن ثم ابان الإدارة الكوردية.

أفاق التطور

في الكتاب استعراض لآفاق التطور والتنمية وتنامي الآصرة الكوردية العربية في ظل التجربة الكوردية من خلال مقابلات مع السيد مسعود البارزاني ووزراء ومسؤولين في الحكومة الإقليمية ومع المنابر الإعلامية في الإقليم، ويضم الكتاب محاضرتين

إحدأهما حول (العلاقات العربية-الكوردية... الواقع والآفاق المستقبلية) يدعو فيها الى التاسيس لعلاقة كوردية-عربية جديدة ومتنامية ويعلق بان ذلك "ليس خياراً لاي من الطرفين بل هي امر حتمي". ويرى الكاتب أن العرب مطالبون بإعادة النظر وغربلة الركائز والأفكار والتوجهات التي استند اليها الفكر القومي العربي، ويذكر أن الصراع في العراق ليس عن الحق الكوردي فهو مقرر ومعترف به ولكن الإختلاف على درجة هذا الحق، بعكس الوضع في تركيا فالصراع على الحق ذاته. وفي هذه المحاضرة كما في عدة مواقع أخرى من الكتاب يبدي المؤلف اعجابه الشديد بالتجربة التي شاهدها وعايشها مثلما شاهدها كاتب هذه السطور، وهي دعوة السيد مسعود البارزاني الرعاة العرب العراقيين في العام المنصرم للحضور الى كوردستان العراق لرعي الاغنام بسبب الجفاف والقحط الذي اصاب المنطقة وعلى الرغم من كل الكوارث التي حلت بالكورد واصبحت عناوين حزن واسى تصرفت الإدارة الكوردية من منطلق الآية الكريمة "ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة".

التغطية المناسبة

ويعاتب الكاتب الكورد لأن هذه التجربة الرائعة لم تحز على تغطية اعلامية مناسبة على الرغم من انها قدمت بالدليل القاطع أن الإدارة الكوردية متسامحة ومتصالحة ولاتستغل الحاضر لتدشين مواقف متشنجة وانتقامية من العرب، ويستشهد في هذا السياق بقول مسعود البارزاني "اذا كان خبزنا قليلاً هذا العام فلماذا لانقتسمه مع اخواننا العرب الذين جعلتهم الظروف لايمتلكون الخبز اصلاً". والكاتب يصف البارزاني بالشخصية المتواضعة والتلقائية والواقعية ويستحثه لاستحضار تفاصيل معركة (كورێ) في ٧ نيسان (ابريل) ١٩٩١ التي حسمت الموقف لصالح الكورد في مواجهة الدبابات وقوات الحرس الجمهوري، حيث صرح حينها مسعود البارزاني "اما أن استرد لشعبي حريته أو احفر قبري بيدي داخل ارضي". ومازال عدد من الدبابات المعطوبة في ميدان المعركة كشاهد على تلك اللحظات العصيبة من انتفاضة ربيع ١٩٩١ وحول هذه المعركة يعلق (ديفيد ماكدويل) في كتابه (الكورد) قائلا "ادت المقاومة الصلبة لحفنة من مقاتلي الحزب الديمقراطي الكوردستاني عند منتجع صلاح الدين الجبلي الى اقتناع بغداد بوقف تقدمها الهجومي".

في المحاضرة الثانية التي ضمها الكتاب وهي بعنوان (العرب والكورد والمصير المشترك) وكان القاها في ١٩٩٩/٦/٢٧ في دهوك يقول المؤلف أن "قدر العرب والكورد أن يكونوا في سفينة واحدة... وقد يختلف الركاب في السفينة ولكن ليس الى

الدرجة التي تؤدي الى غرقها".

ويعتبر رجائي فايد -بحق- أن التحاور والترابط الكوردي العربي من أهم اسس الأمن والإستقرار في المنطقة ويعترف بان ثمة شرخاً وصدعاً حصل في هذه العلاقة القائمة على حقائق التاريخ والجغرافيا، ولكن على الجميع النهوض لمعالجة الجرح والاسراع في اندماله لكي تعود مياه العلاقة الى مجراها الطبيعي هذا المجرى الذي ينبغي أن يرفد بمواقف حضارية من كلا الطرفين.

في الصفحة (٢٠٩) ثمة مقال للكاتب نشر في (الاهالي) المصرية يوم ١٩٩٩/٧/٧ ويعود فيه مجدداً الى المبادرة الخلاقة التي قدمها الكورد لعشيرة شمر العربية عندما شح المطر وحل الجفاف في مناطقها، حيث تجاوز الكورد ذكريات الماضي ولم يتعاملوا معه كحائط مبكى ينتحبون حوله بل تعاملوا بمنطق الحاضر وتصرفوا بنبل لاضافة لبنة جديدة الى علاقة يريدها الكورد مع اخوانهم العرب الذين يرى الكاتب أن عليهم أن يضيفوا من جانبهم لبنة أخرى لكي يتكامل البناء ويعلو الصرح وتسترد الصورة نقاوتها.

المحور الأكثر إلحاحاً

إن المحور الأخير في الكتاب وهو فصل (حتى لاتضيع كوردستان) الذي يعتبر الأكثر الحاحاً على ذهن الكاتب، حيث انه وعلى الرغم من كل المقابلات التي اجراها مع المسؤولين والمشاهدات والقراءات والوثائق والآراء والأفكار التي اطلع عليها، يبقى مسكوناً بهاجس إحتمال انفصال المنطقة عن العراق، وكحجج وادلة لمخاوفه يورد الكاتب جملة من الظواهر يرى انها اصبحت امراً واقعاً وقد يؤدي ذلك -في رأيه- الى ابتعاد الإقليم الكوردي عن دولة العراق وهذه المسائل حسب تقديره هي التبلور التدريجي لكل مقومات الدولة في الإقليم، وطغيان اللغة الكوردية على العربية، وإختلاف العملة المتداولة في كوردستان العراق عن تلك السائدة في بقية أنحاء العراق، وإستخدام عدد من الكتاب الكورد الابجدية اللاتينية بدلاً من الابجدية العربية وغيرها من الامور التي يبني عليها الكاتب مخاوفه. وهو اذ يعترف بان كورد العراق يؤكدون بالقول والفعل انهم جزء من العراق يستدرك قائلاً "لكن يظل الإحتمال الخطير قائماً" ويعني به إحتمال قيام دولة كردية في ظل توازنات ومحصلة قوى ومصالح جديدة.

الذهاب أبعد مما يجب

اننا نجزم أن الكاتب ذهب بعيداً في التعبير عن قلقه وتفسيره لبعض المظاهر السائدة في كوردستان وهي أمور عادية ولاتتعارض مع هيكلية اي دولة مركبة أو إتحادية في

العالم. يقيناً أن رأي الكاتب نابع من حرصه ومن عاطفته الجياشة تجاه الكورد ورغبته في خلق حالة وئام دائمة بين الشعبين الكوردي والعربي وقد لمست فيه ذلك عن كثب اثناء لقائي به خلال أيام مئوية الجواهري، لذا فمن نفس المنطلق ينشر الكاتب: أن عراقية الكوردي وشعوره القومي متلازمان وليس ثمة تناقض بين الوطنية العراقية والشعور القومي الكوردي، لاسيّما في ظل عقلانية وواقعية القيادة السياسية الكوردية المتشربة بمفردات تراث البارزاني الراحل، واحدى أهمها صيانة صرح الإخاء الكوردي العربي ولو أقدم الكورد على الانفصال لكانوا فعلوا حين استخدم السلاح الكيمياوي المدمر وأبيدت نحو (٤٥٠٠) قرية عن بكرة ابيها وسويت بالارض وقتل في عمليات الانفال السيئة الصيت وحدها (٢٠٠) الف إنسان كردي بريء وقبلهم (٨٠٠٠) آلاف بارزاني في صيف عام ١٩٨٣، إن هذه العناوين كلها شكلت مخزوناً للإتكاء عليها وبلورة إحتمال الانفصال في ظل قبول نفسي من المواطنين الكورد. ولكن على الرغم من كل هذه الاسلاك المكهربة التي زرعتها الحكومة العراقية لفصل الكورد عن العرب فان القيادة السياسية الكوردية لم تعزف على وتر الطلاق وقصة الدعوة الرائعة الموجهة لقبيلة شمر للرعي في مراعي كوردستان التي يرددها بانبهار في الكتاب غنية بالدلالات التي تكفي لطمأنة الكاتب ونخبة المثقفين العرب بان كوردستان الفيدرالية حاضنة المقاومة وعاشقة الحرية والتعايش مع الآخرين، وان مراعيها لم تقدم العشب والكلأ لاغنام العرب فحسب، بل وأنعشت في قلوب العرب شرياناً آخر للدم يخفق للحب، وجددت في الذاكرة مبدأ أن اجمل صفات الضحية أن تتحلى بفضيلة التسامح على الرغم من حيازتها لخيارات عديدة بدل التحصن خلف الماضي واطلاله وتلك لعمري صخرة التأسيس الأولى في صرح الوشائج الحضارية التي نريدها ويريدها الكاتب معنا للعلاقة الكوردية العربية المستقبلية.

***

"جسر المحبة" الألمانية... في كوردستان العراق

خەبات ٢٠٠٠/١١/١٠

وفي الحالة الكوردية فان هذه الظاهرة كانت بارزة المعالم لأن الشطر الاوفر من تأريخه كتب من قبل الآخرين وهم اما مستشرقون نظروا الى احداث الشعوب من ثقب المصلحة الذاتية لبلدانهم، أو مؤلفون مؤدلجون مسبقاً ضد عدالة النضال التحرري الكوردي وتابعون لسياسة الدولة، أو للنظرة الضيقة للقومية السائدة، وربما كان شرفخان